يُغيرِّ ألوانه البحرُ

نازك الملائكة



20

آفاق الكتابة

الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for CULTURE CENTERS

آفاق الكتابة

يُغيِّرُ ألْوانَهُ البَحْرُ

آفاق الكتابة
(20)

يغير ألوانه البحر

شعر

نازك الملائكة

الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 1998

لمحات
من سيرة حياتى وثقافتى

نازك الملائكة

وُلدتُ فى بغداد فى ٢٣ من شهر آب (أغسطس) سنة (١٩٢٣)، وكنت كبرى إخوتى وهم : أربع بنات ، وولدان.

وقد تدرجت فى دراستى من الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية، وتخرجت فى الثانوية عام ١٩٣٩، وكنت، منذ صغرى، أحب اللغة العربية، والإنجليزية، والتاريخ ، ودروس الموسيقى، كما كنت أجد لذة فى دراسة العلوم، بخاصة علم الفلك، وقوانين الوراثة، والكيمياء، ولكنى كنت أمقت الرياضيات مقتاً شديداً، وأعد السنين يوماً يوماً لأصل إلى إنهاء مرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الآداب، ثم دخلت دار المعلمين العالية، فرع اللغة العربية، وخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٤ من مرتبة الامتياز، وهى أعلى مرتبة تمنح، وخلال سنوات دراستى فيها تعرفت إلى موضوع الفلسفة، وأحببته حباً شديداً، فساعدنى على تكوين ذهن منطقى، وكانت دراساتى الكثيرة للنحو العربى، فى

أصوله القديمة، قد هيأتني له تهيئة واضحة وقد بدأت نظم الشعر، وحبه منذ طفولتي الأولى، والواقع أنني سمعت أبويّ وجدي يقولون عني أنني «شاعرة» قبل أن أفهم معنى هذه الكلمة، لأنهم لاحظوا عليّ التقفية، وأذنا حساسة تميز النغم الشعري تمييزاً مبكراً. وبدأت بنظم الشعر العامي، قبل عمر سبع سنوات.

وفي سن العاشرة نظمت أول قصيدة فصيحة، وكانت في قافيتها غلطة نحوية، وعندما قرأها أبي رمى قصيدتي على الأرض بقسوة، وقال لي، في لهجة جافية مؤنبة: «اذهبي أولاً، وتعلمي قواعد النحو... ثم انظمي الشعر»، وكانت معلمة النحو في المدرسة لا تميز الفاعل من المفعول، وسرعان ما اضطر أبي إلى أن يتولى تعليمي قواعد النحو بنفسه حين دخلت المتوسطة، وفي ظرف شهر واحد تفوقت على الطالبات جميعاً، وصرت أنال أعلى الدرجات.

ولاحظ أبواي أنني موهوبة في الشعر، شديدة الولع بالمطالعة، فأعفياني من المسؤوليات المنزلية، والعائلية إعفاء تاماً، وساعدني ذلك على التفرغ، والتهيؤ لمستقبل أدبي، وفكري خالص.

وكانت والدتي، في سنوات الشعرية المبكرة، تنظم الشعر، وتنشره في المجلات، والصحف العراقية، باسم السيدة «أم نزار الملائكة» وهو اسمها الأدبي الذي عرفت به، أما أبي فكان مدرس النحو في الثانويات العراقية، وكانت له دراسة واسعة في النحو، واللغة والأدب، وقد ترك مؤلفات كثيرة أهمها موسوعة في عشرين مجلداً، عنوانها «دائرة معارف الناس» اشتغل فيها طيلة حياته، واعتمد في تأليفها على مئات المصادر، والمراجع، ولم يكن أبي شاعراً، ولكنه كان ينظم الشعر، وله قصائد كثيرة، وأرجوزة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت؛

وصف فيها رحلة قام بها إلى إيران عام ١٩٥٥ وكان أبى متواضعاً، ولم يرض يوماً أن يسمى نفسه شاعراً، مع سرعة بديهته، وقدرته على الارتجال، وظرفه.

وكان لأبوىّ تأثير عميق فى حياته الفكرية، والشعرية. أما أبى، فقد بقى أستاذى فى النحو حتى أنهيت دراسة الليسانس، وكنت أُهرع إليه، بكل مشكل نحوىٍ يعرض لى، وأنا أقرأ ابن هشام، والسيوطى، والأشمونى، وسواهم، والحق أنى كنت، ولم أزل، شديدة الولع بالنحو.

وقد فرش لى أبى طريقاً ممهداً رائعاً، حين وضع بين يدى مكتبته التى كانت تحتوى على متون النحو، وكتب الشواهد جميعاً، ولذلك كان من الطبيعى، تماماً، أن أكون الطالبة الوحيدة بين طلبة قسم اللغة العربية التى اختارت رسالة لمرحلة الليسانس فى موضوع نحوىّ، هو : (مدارس النحو)، وكان المشرف عليها أستاذى الكبير العلاّمة الدكتور مصطفى جواد الذى كان له فى حياتى الفكرية أعمق الأثر، رحمه الله، وجزاه عنا نحن تلاميذه أجمل الجزاء، ولم تزل رسالتى هذه فى مكتبة كلية التربية، وعليها تعليقات بالقلم الأحمر، كتبها الدكتور مصطفى جواد فى حينه.

أما والدتى، فقد كان لها أثر واضح فى حياتى الشعرية، لأننى كنت أعرض عليها قصائدى الأولى، فتوجه إليها النقد، وتحاول إرشادى، ولكنى كنت أناقشها مناقشة عنيدة، فقد لاح علىّ، منذ مرحلة الثانوية، التأثر بالشعر الحديث؛ شعر محمود حسن إسماعيل، وبدوى الجبل، وأمجد الطرابلسى، وعمر أبو ريشة، وبشارة الخورى، وأمثالهم، بينما كانت هى تعجب بشعراء أقدم مثل: الزهاوى خصوصاً. فقد كان شاعرها الأثير، وكان اهتمامها بالشعر القديم أكبر من

اهتمامى، ولذلك كان تأثيره فى شعرها أبرز، ولكن ذوق أمى نفسها بدأ يتطور، كما يلاحظ من يدرس شعرها الذى طبعت المنشور منه، بعد وفاتها، فى ديوان سميته «أنشودة المجد»، وقد بدأت أمى تتجه نحو الشعر الحديث إلى درجة ملحوظة، وكانت تعجب خصوصاً بشعر إبراهيم ناجى، وصالح جودت، ولكن اتجاهاتى الشعرية بقيت مختلفة عن اتجاهاتها، بسبب معرفتى للإنجليزية، والفرنسية وكثرة قراءتى لشعرائهما.

ورغم ذلك فقد بقينا، أنا وهى، صديقتين، فكانت تقرأ لى قصائدها، وأقرأ لها قصائدى، حتى وفاتها عام ١٩٥٣، وهى فى الثانية والأربعين من العمر، رحمها الله رحمة واسعة.

وخلال دراستى فى دار المعلمين العالية، كنت أساهم فى حفلات الكلية، بإلقاء قصائدى، وكانت الصحف العراقية تنشر تلك القصائد فى حينها، غير أنى أهملت هذا الإنتاج المبكر، ولم أدرج منه شيئاً فى مجموعاتى الشعرية المطبوعة، لأننى بقيت أنظر إليه على أنه شعر الصبا قبل مرحلة النضج، والواقع أننى أقبلت على نظم الشعر إقبالاً شديداً منذ عام ١٩٤١ يوم كنت طالبة فى الكلية. فقد دخلت فى ذلك العام بداية نضجى الروحى والعاطفى والاجتماعى، فضلاً عن أنه العام الذى شهد ثورتنا القومية العظيمة التى هزت كيانى هزاً عنيفاً وهى ثورة رشيد عالى الكيلانى، وكنت أتفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التى لم أنشر منها أى شيىء: فسرعان ما انتصر الحكم البوليسى فى العراق، ونصبت المشانق للأحرار، ولم يعد فى العراق من يستطيع التنفس، ولكننا، أنا وأمى، استمررنا ننظم القصائد الثائرة سراً،

ونطويها فى دفاترنا الحزينة.

وفى عام ١٩٤٧ صدرت لى أول مجموعة شعرية، وقد سميتها (عاشقةالليل) لأن الليل كان يرمز عندى إلى الشعر، والخيال، والأحلام المبهمة، وجمال النجوم، وروعة القمر، والتماع دجلة تحت الأضواء، وكنت فى الليل أعزف على عودى فى الحديقة الخلفية للبيت بين الشجر الكثيف، حيث كنت أغنى ساعات كل مساء، وقد كان الغناء سعادتى الكبرى منذ طفولتى، وكنت أحبس أنفاسى إذا ما سمعت صوت عبد الوهاب، أو أم كلثوم يحمله إلىّ جهاز حاكٍ (غرامافون) يدور فى بيت الجيران. وكنت سريعة الحفظ لأى أغنية أسمعها، وكانت أمى لا تفتأ تندهش دهشة كبيرة عندما تسمعنى أغنى، وما زلت أذكر صوتها فى صغرى وهى تتلفت، وتقول: يا إلهى ! من أين حفظت ابنتى كل هذه الأغانى ؟ ومتى سمعتها ؟ وكيف ؟ ولم تدر أننى كنت حين أسمع حاكياً يدور بأغنية أقف مسمَّرة فى مكانى حتى لو كنت فى الشارع. وفى تلك الأيام البعيدة لم يكن المذياع قد دخل الحياة فى العراق طبعاً، فكان الاستماع إلى الأغانى لا يتم إلا عن طريق الإسطوانات، ولم تبدأ إذاعة بغداد بالبث إلا فى سنة ١٩٣٥، كما أتذكر، يوم أن بلغت الثانية عشرة من العمر.

وبعد صدور (عاشقة الليل) بأشهر قليلة انتشر وباء الكوليرا فى مصر الشقيقة، وبدأنا نسمع الإذاعة تذكر أعداد الموتى يومياً، وحين بلغ العدد ثلاثمائة فى اليوم انفعلت انفعالاً شعرياً، وجلست أنظم قصيدة استعملت لها شكل الشطرين المعتاد، مُغيِّرةً القافية بعد كل أربعة أبيات أو نحو ذلك، وبعد أن انتهيت من القصيدة، قرأتها فأحسست أنها لم تعبّر عما فى نفسى، وأن

عواطفى ما زالت متأججة. وأهملت القصيدة وقررت أن اعتبرها من شعرى الخائب (الفاشل) وبعد أيام قليلة ارتفع عدد الموتى بالكوليرا إلى ستمائة فى اليوم، فجلست، ونظمت قصيدة شطرين ثانية أعبر فيها عن إحساسى، واخترت لها وزناً غير وزن القصيدة الأولى، وغيرت أسلوب تقفينها ظانة أنها ستروى ظمأ التعبير عن حزنى، ولكننى حين انتهيت منها شعرت أنها لم ترسم صورة إحساسى المتأجج، وقررت أن القصيدة قد خابت كالأولى، وأحسست أننى أحتاج إلى أسلوب آخر أعبر به عن إحساسى وجلست حزينة حائرة لا أدرى كيف أستطيع التعبير عن مأساة الكوليرا التى تلتهم المئآت من الناس كل يوم.

وفى يوم الجمعة ٢٧ / ١٠ / ١٩٤٧ أفقت من النوم، وتكاسلت فى الفراش أستمع إلى المذيع وهو يذكر أن عدد الموتى بلغ ألفاً، فاستولى على حزن بالغ، وانفعال شديد، فقفزت من الفراش، وحملت دفتراً، وقلماً وغادرت منزلنا الذى يموج بالحركة، والضجيج يوم الجمعة، وكان إلى جوارنا بيت شاهق يُبنى، وقد وصل البناؤون إلى سطح طابقه الثانى، وكان خالياً لأنه يوم عطلة العمل، فجلست على سياج واطىء، وبدأت أنظم قصيدتى المعروفة الآن «الكوليرا». وكنت قد سمعت فى الإذاعة أن جثث الموتى كانت تحمل فى الريف المصرى مكدسة فى عربات تجرها الخيل، فرحت أكتب وأنا أتحسس صوت أقدام الخيل:

سكن الليل

أصغ ، إلى وقع صدى الأنات

فى عمق الظلمة ، تحت الصمت ، على الأموات

ولاحظت فى سعادة بالغة أننى أعبر عن إحساسى أروع تعبير بهذه الأشطر غير المتساوية الطول، بعد أن ثبت لى عجز الشطرين عن التعبير عن مأساة الكوليرا، ووجدتنى أروى ظمأ النطق في كيانى، وأنا أهتف

الموت ، الموت ، الموت ،

تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

وفى نحو ساعة واحدة انتهيت من القصيدة بشكلها الأخير، ونزلت ركضاً إلى البيت، وصحت بأختى « إحسان » «انظرى لقد نظمت قصيدة عجيبة الشكل أظنها ستثير ضجة فظيعة، وما كادت إحسان تقرأ القصيدة - وهى أول من قرأها - حتى تحمست لها تحمساً شديداً، وركضت بها إلى أمى فتلقتها ببرودة، وقالت لى: ما هذا الوزن الغريب؟ إن الأشطر غير متساوية، وموسيقاها ضعيفة يا بنتى، ثم قرأها أبى، وقامت الثورة الجامحة فى البيت فقد استنكر أبى القصيدة، وسخر منها واستهزأ بها على مختلف الأشكال، وتنبأ لها بالفشل الكامل، ثم صاح بى ساخراً: « وما هذا الموت الموت الموت ؟»

لكل جديد لذة غير أننى وجدت جديد "الموت" غير لذيذ

وراح إخواتى يضحكون وصحت أنا بأبى «قل ما تشاء ، إنى واثقة أن قصيدتى هذه ستغير خريطة الشعر العربى ، وكنت مندفعة أشد الاندفاع فى عبارتى هذه، وفى أمثال لها كثيرة قلتها رداً على التحدى بالتحدى، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يسبغ علىّ رحمته فى تلك اللحظات الحرجة من حياتى الشعرية، فكتب لقصيدتى أن يكون لها شأن كما تمنيت وحلمت، فى ذلك الصباح العجيب فى بيتنا.

ومنذ ذلك التاريخ انطلقت فى نظم الشعر الحر، وإن كنت لم أتطرف إلى درجة نبذ شعر الشطرين نبذاً تاماً، كما فعل كثير من الزملاء المندفعين الذين أحبوا الشعر الحر، واستعملوه بعد جيلنا.

وفى عام ١٩٤٩ صدرت ببغداد مجموعتى الشعرية الثانية (شظايا ورماد)، وقد صدرتها بمقدمة أدبية ضافية عرضت فيها موجزاً لنظرية عروضية لشعرى الجديد الذى نشرت منه فى المجموعة عشر قصائد، وما كاد الكتاب يظهر حتى أشعل ناراً فى الصحف، والأندية الأدبية، وقامت حوله ضجة عنيفة، وكتبت حوله مقالات كثيرة متلاحقة، كان غير قليل منها يرفض الشكل الجديد الذى دعوت إليه، ويأباه للشعر، غير أن الدعوة لقيت أروع القبول فى الأوساط الشعرية الشابة، فما كاد يمضى عام حتى كان صدى الدعوة قد تخطى العراق إلى خارجه، وبدأت أقرأ فى المجلات الأدبية فى مصر، ولبنان، وسوريا، وسواها قصائد من الشعر الحر، كان غير قليل منها يحمل لافتات إهداء نثرى : « إلى الشاعرة نازك الملائكة».

* * *

فى عام ١٩٤٢ بلغ نشاطى الشعرى واللغوى، والفنى، والأدبى أوجه، فاندفعت أطلب الثقافة، والعلم فى نهم لا يرتوى، وحرارة لا تنطفىء، ففى السنة نفسها سجلت نفسى طالبة فى فرع العود بمعهد الفنون الجميلة، ودخلت طالبة فى فرع التمثيل، وانتميت إلى صف لدراسة اللغة اللاتينية، وكنت إذا ذاك - فوق هذا كله - طالبة فى السنة الثانية من دار المعلمين العالية، وقد وهبت نفسى، فى حرارة لا مثيل لها، إلى هذه الدراسات كلها، وكنت أحبها أشد الحب.

أما العزف على العود فقد كان أمنيتى منذ صغرى، وحين رأى أبى حرقة تشوقى إلى هذه الدراسة، وافق بعد تردد طويل على أن أدخل معهد الفنون الجميلة لأدرس على الفنان الكبير الموسيقار الأستاذ محيي الدين حيدر الذى كان اسمه الفنى فى المعهد : «الشريف» ، ولهذا الفنان طريقة فريدة فى العزف، والتدريس عليها أثر موهبته الفنية العظيمة؛ وله فى العراق اليوم تلاميذ معروفون من الموسيقيين، من مثل الأستاذ سلمان شكر، والأستاذ جميل بشير، وسواهما. وكانت مدة الدراسة ست سنوات، والمنهج يقوم على تدريسنا المقامات الشرقية على بشارف وسماعيات، وسواها، وكان الطالب يتدرج حتى يصل إلى قمة المهارة الفنية فى عزف مقطوعات الشريف محيي الدين التصويرية الرائعة مثل: «تأمل»، و «ليت لى جناحاً»، و «كابريس». وكان للشريف، يرحمه الله، مزاج فى العزف، فكان يغير، ويعدل فى البشارف، والسماعيات التى ألفها كبار الموسيقيين، من مثل: طانيوس أفندى، وجميل بك، وعزيز دده، ويوسف باشا، وكانت هذه التعديلات تجمل الأصل أروع تجميل، وتخرجه إخراجاً حياً وكنت أنا أجلس فى صف العود مسحورة، وكأنى أستمع إلى صلاة. وكان الشريف يكرر على أن لى سمعاً موسيقياً حساساً، وموهبة ظاهرة، ولكنه كان خائفاً على أن يجرفنى حبى للشعر ويبعدنى عن الموسيقى على أى شكل من الأشكال، ورغم أننى ما زلت، حتى اليوم، أعزف لنفسى لكى يصحبنى العود، وأنا أغنى ألحان عبد الوهاب، وأم كلثوم، وفيروز ، وعبد الحليم حافظ، ونجاة . وهو انصراف محدود، غير ما كان أستاذى يتوقع منى، ولعله كان ينتظر أن أكون عازفة مشهورة فى الإذاعات ومؤلفة ألحان.

وأما دراستى للتمثيل، فالحق أنه كان لى فيها دافعان اثنان:

أولهما أن أتعلم فن الإلقاء، فقد كنت ارتقى المسرح لألقى قصائدى فأقرأها قراءة رتيبة دون أن أعرف كيف ألون صوتى بالانفعال، وأرفعه، وأنغمه مع معانى قصيدتى وقد خطر لى أن دراسة التمثيل ستساعدنى فى هذا المجال. والدافع الثانى أننى اطلعت على منهج الدراسة فى هذا الفرع فبهرنى. كان منه دراسة مفصلة مسهبة للميثولوچيا الإغريقية، بكل تفاصيلها الدقيقة، ومداخلها، ومخارجها. وكان موضوع «تاريخ المسرح والأدب المسرحى» للسنة الثانية يشمل دراسة إسخيلوس، وسوفوكليس، ويوربيديس، وأريستوفان، وكنت أعلم مدى غنى الأدب اليونانى، ومدى ضرورته للممثل، والدارس، فاندفعت فى حرارة أسأل أبى أن يأذن لى بدخول فرع التمثيل، وقد رفض أبى أولا، ولكن الله سبحانه شاء أن يشملنى برعايته، فإذا أبى يكلف بتدريس اللغة العربية فى فرع التمثيل، وعندما وجد أننى سأكون تلميذة له أخذنى معه إلى الأستاذ حقى الشبلى المسؤول عن الفرع، وسجلنى طالبة، واكتملت سعادتى.

وأما اللغة اللاتينية فإن قصة دراستى لها كانت أغرب، فقد كنت طالبة فى قسم اللغة العربية، وكنا ندرس اللغة الإنجليزية، وصادف أن أستاذنا أشار فى الصف، مراراً، إلى ضرورة معرفة اللغة اللاتينية لمن يريد التخصص فى الأدب الإنجليزى، فشوقنى ذلك إلى دراستها، وبقيت هذه الرغبة عابرة فى نفسى،حتى سمعت فى آخر العام الدراسى ١٩٤١ – ١٩٤٢ أن إدراة الكلية قررت إضافة مادة اللغة اللاتينية إلى منهج طلبة السنة الأولى، فرع اللغة الإنجليزية، وهنا بدأت لهفتى، أردت – بأى ثمن – أن أنتمى إلى هذا الصف لأتعلم اللغة

اللاتينية، وراجعت أستاذ المادة فاعتذر عن قبولى فى الصف، وسألنى مندهشا: «ولكنك طالبة فى قسم اللغة العربية، فماذا تنفعك اللاتينية ؟ » ولم يوهن هذا عزيمتى، وراجعت عميد الكلية، ورجوته أن يأذن لى بالدراسة مع طلبة الإنجليزية. عندما رأى العميد لهفتى سمع لى، وانتميت إلى صف اللغة اللاتينية، وبدأت أحفظ، بحماسة، تلك القوائم التى لا تنتهى من حالات الأسماء وفصائلها، وتصريفات الأفعال، وسواها مما يعتبر من أصعب ما يعرفه طلبة اللغات.

وقد بقى حب اللغة اللاتينية فى دمى حتى اليوم ، وما زلت أقتنى كتب الشعر اللاتينى، وأحاول أن أقرأها كلما وجدت فراغا، وأتذكر أننى، بعد شهرين من بدئى لدراسة هذه اللغة، أصبحت أكتب مذكراتى بها، كما نظمت نشيداً لاتينيا على نغمة الأغنية المشهورة (At The Ballalika) . وكان من الطبيعى أن يكون النشيد بدائيا ساذج الصياغة، فقد كنت لم أزل طالبة مبتدئة، ولقد واصلت دراسة اللغة اللاتينية سنوات كثيرة وحدى من دون أستاذ بمساعدة القواميس، ثم دخلت صفا فيها فى جامعة برنستن بالولايات المتحدة درسنا فيه نصوصا للخطيب الرومانى شيشرون، وقد أعجبت أشد الإعجاب بشعر الشاعر اللاتينى «كوتولوس»، وحفظت مجموعة من القصائد له، وما زلت أترنم بها أحياناً فى وحدتى، فأجد سعادة بالغة فى ترديدها. والواقع أنى أجد فى اللغة اللاتينية نفسها سحرا يجتذب كيانى كله، ولست أعرف سر هذا الافتتان بلغة يكرهها الطلبة عادة، وينفرون منها أشد النفور.

وفى عام ١٩٤٩ بدأت بدراسة اللغة الفرنسية، فى البيت، مع أخى الذى يصغرنى : نزار. وكان إذ ذاك طالباً فى قسم اللغة الإنجليزية بدار المعلمين

العالية، وكان له ولع شديد بالأدب، واللغات، وهو شاعر أيضاً، وإن كان مقلاً، وكانت تربطني به صداقة عميقة، وكنا نشترك أنا وهو في غرفة واحدة تنتشر فيها الكتب على سريرينا، وطالما قام الجدل بيننا في موضوعات الأدب الحياة.

بدأنا إذن، أنا، ونزار ندرس الفرنسية من دون مدرس، وذلك اعتماداً على كتاب إنجليزى يعلم هذه اللغة، أهدانا إياه عمى، وقد سعدنا سعادة بالغة بتعلم هذه اللغة الجميلة، وواصلنا تعلمها حتى أصبحنا نقرأ فيها كتب الشعر، والنقد، والفلسفة. وفى عام ١٩٥٣ دخلت دورة فى المعهد العراقى، قرأنا فيها نصوصاً من الأدب الفرنسي، من مثل قصص: ألفونس دوديه، وموباسان، ومسرحيات موليير، ولكن نطقى بهذه اللغة بقى رديئاً حتى اليوم، لأننى تعلمتها من دون أستاذ يلفظ أمامى الكلمات، ولم تتح لى فرصة للسفر إلى فرنسا، والحياة فيها فترة، وهذا ما يحزننى دائماً حين أجدنى أقرأ، وأفهم، ومع ذلك لا أحسن الكلام، ولا النطق الصحيح.

أما الأدب الإنجليزى فقد بدأت عنايتى به وأنا طالبة فى دار المعلمين العالية يوم كنا نقرأ شعر شكسبير (Sonnets) ومسرحية «حلم منتصف ليلة صيف»، وقد ترجمت إلى الشعر العربى إحدى سونيتات شكسبير، إذ ذاك. وأقبلت بعد ذلك على قراءة شعر بايرون، وشيللى. وفى عام ١٩٥٠ دخلت دورة فى المعهد الثقافى البريطانى لدراسة الشعر الإنجليزى ، والدراما الحديثة، استعداداً لأداء امتحان تقيمه جامعة كامبردج وتمنح بعدة شهادة الـ (PROFICENCY) ، وكان مستوى هذه الدراسة أعلى من ليسانس اللغة الإنجليزية، لأن طالبة متفوقة فى السنة الرابعة من فرع اللغة الإنجليزية دخلت معى هذه الدورة، فكانت

النتيجة إنها رسبت، ونجحت . وكان سر نجاحى أننى انهمكت طيلة العام فى قراءة عشرات من كتب الشعر، والدراما، فى حماسة، ونهم، والواقع أن أغلب الذين اشتركوا فى الامتحان معنا قد رسبوا، ولم ينجح سواى وسوى طالب واحد خارجى لم يشترك معنا فى الدراسة بالمعهد البريطانى، وكان لهذا الامتحان امتحان ثان أعلى منه تقيمه جامعة كمبردج نفسها، ولكنى لم أقدمه، وإنما سافرت إلى الولايات المتحدة لدراسة النقد الأدبى.

وكانت هذه المرحلة تمتد عاماً، وقد أوفدتنى إليها موسسة روكفلر الأمريكية، واختارت لى أن أدرس النقد الأدبى فى جامعة برنستن فى نيو چيرسى بالولايات المتحدة، وهى جامعة رجالية ليس فى تقاليدها دخول الطالبات فيها، ولذلك كنت الطالبة الوحيدة، وكان ذلك يثير دهشة المسؤولين فى الجامعة كلما التقى بى أحدهم فى أروقة المكتبة، أو الكليات، وقد أتيحت لى فى هذه الفترة الدراسة على أساطين النقد الأدبى فى الولايات المتحدة، من مثل ديتشرد بالاكمور، وآلن دوانر، وآلن تيت، ودونالد ستاوفر، وديلمور شوارتز، وكلهم أستاذة لهم مؤلفات معروفة فى النقد الآدبى ، كما عرفوا بأبحاثهم فى مجلات الجامعات الأمريكية، وسائر الصحف الأدبية.

* * *

بعد عودتى إلى العراق عام ١٩٥١ بدأت أتجه إلى كتابة النثر بخاصة فى النقد الأدبى وفى عام ١٩٥٣ ألقيت محاضرة فى نادى الاتحاد النسائى ببغداد كان عنوانها (المرأة بين الطرفين: السلبية، والأخلاق) انتقدت فيها أوضاع المرأة الحاضرة، وعقم المجتمع العربى، ودعوت إلى تحرير المرأة من الجمود،

والسلبية وقد أثارت هذه المحاضرة ضجة فى بغداد، وتحدثت عنها المحافل طويلا بخاصة وأن إذاعة بغداد نقلتها كاملة، وأذاعتها على الجمهور. وسرعان مانشرتها مجلة (الآداب) البيروتية التى كانت تصدرها إذ ذاك دار العلم للملايين.

وواصلت خلال ذلك نظم الشعر ونشره، ونشر مقالات النقد الأدبى فى مجلتى (الأديب) و (الآداب) ببيروت.

وفى عام ١٩٥٣ حدث لى حادث هز حياتى إلى أعماقها، فقد مرضت والدتى مرضاً مفاجئاً شديداً، وقرر الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية لها فى لندن فوراً، ولم يكن فى بيتنا من يستطيع السفر معها إلى انجلترا سواى، بسبب معرفتى للندن، وحياتى فيها فترة وبسبب إتقانى للغة الإنجليزية - وكان نزار قد سافر إلى الولايات المتحددة للدراسة. كل هذا اضطرنى إلى أن أصحب أمى المريضة أشد المرض إلى لندن على عجل، والرعب مُسْتَوْلٍ علىّ، فقد كنت خائفة فى أعماقى من شىء رهيب سيقع لى لم أشخصه، وقبل سفرى بأسبوع حلمت أننى أسير فى شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون، وأبحث، وأبحث، وأبحث فى لهفة، ورعب فلا أجد من يبيعنى تابوتاً، ولم أقص حلمى هذا على أحد فى البيت، وسافرت بها، وتم إدخالها إلى غرفة العمليات، وخرجت منها محمولة على نقالة حيث أودعوها فى عنبر الموتى بالمستشفى ريثما تتم إجراءات الدفن المعقدة، وقد رأيتها، وهى تحتضر فى مشهد رهيب هز حياتى إلى أعماقها، وكان على أن أحضر مشاهد الجنازة والدفن وأنهض بأعبائها، وهى أعمال لم أعتد القيام بمثلها، وعدت إلى العراق بعد أسبوعين ذابلة حزينة مهزوزة النفس،

فقد كنت أحب أمى حباً شديداً لا مثيل له، وما كدت أرى إخوتى، وأقاربى يلبسون السواد وهم يستقبلوننى فى مطار بغداد حتى بدأت أبكى، وأبكى بكاء لا ينقطع ليلاً، ولا نهاراً وسرعان ما لاح لى بوضوح أننى مريضة، فبادرت إلى مراجعة طبيب عالجنى بالحبوب المهدئة، فتوقفت دموعى، وإن بقى الحزن يحفر فى حياتى حتى اليوم بعد خمسة وأربعين سنة من وفاة والدتى يرحمها الله، وكانت حصيلتى الشعرية المباشرة، بعد وفاة أمى، قصيدة سميتها «ثلاث مرات لأمى» استعملت فيها أسلوباً جديداً فى الرثاء لم يسبقنى إليه أحد، وسرعان ما ذاعت قصيدتى هذه، واستقبلها الشعراء بحرارة، وإعجاب بالغين.

وقد كان من حسن حظى - وأنا فى أحزانى التى هدمتنى بعد وفاة أمى - أن انتخبتنى مديرية البعثات العراقية لدراسة الأدب المقارن فى الولايات المتحدة ، وقد قبلت فى جامعة وسكنسن، إحدى أول عشر جامعات فى الولايات المتحدة، فسافرت متحمسة للدراسة أشد الحماسة، وأتاح لى موضوع الأدب المقارن أن أستفيد من اللغات الأجنبية التى أعرفها، بخاصة الإنجليزية، والفرنسية. وخلال هذه الدراسة اكتسبت ثقافة غنية رائعة أخصبت ذهنى وملأتنى سعادة. وقد كنت أقضى أغلب الوقت فى مكتبة الجامعة الغربية التى كان لها أعمق الأثر فى حياتى فى تلك الفترة كما اغتنت حياتى بأفكار عذبة كثيرة منوعة، واكتسبت من التجارب أضعاف ما كسبته فى حياتى السابقة كلها. وتغيرت مفاهيمى، ومُثلى، ومقاييسى، وتبدلت شخصيتى كلها.

وقد كان النظام فى هذه الجامعة رائعاً، لأنه لا يتطلب كتابة أطروحة كبيرة، بل يكلف الطالب بإعداد مجموعة كبيرة من الأبحاث فى موضوعات أدبية منوعة،

فكنت أجد متعة عظيمة فى كتابة هذه المقالات التى مرنت قابليتى فى النقد الأدبى، وما زالت الأبحاث المكتوبة بالإنجليزية تنتظر أن أترجمها إلى العربية، وأنشرها. وسبب إعراضى عنها، حتى الآن ،يرجع إلى أنها كلها تتناول الآداب الأوربية ، فلا يتخللها اسم عربى، وقد ألفت أن أشعر أن كتابة الأديب العربى مقالات تغص بالأعلام الأجنبية نوع من التكلف، وإقحام لثقافة أجنبية على القارئ العربى البسيط. ولذلك أنوى أن أوسع الجانب المقارن فى أبحاثى هذه بحيث يشمل أعلاماً عربية إلى جانب الأوروبية، وإذا ذاك سأستريح إلى نشرها، وأرجو أن يتاح لى يوماً أن أفعل هذا.

وكان سفرى إلى وسكنسن عام ١٩٥٤، واستغرق إعداد الماچستير فى الآدب المقارن سنتين كتبت خلالهما مذكرات أدبية كثيرة سجلت فيها ملاحظاتى على الكتب التى قرأتها، والأشخاص الذين تعرفت إليهم، وعشت بينهم فى تلك الفترة، كما احتوت على آرائى المفصلة المركزة فى المرأة الأمريكية. ومع هذا كله، كنت فى مذكراتى أغوص غوصاً عميقاً فى تحليل نفسى، وقد اكتشفت أننى كنت لا أعبر عن ذهنى، وعواطفى كما يفعل كل إنسان حولى، وإنما ألوذ بالانطواء، والصمت، والخجل، واتخذت قراراً حاسماً أن أخرج على هذا الطبع السلبى، وشهدت مذكراتى صراعاً عظيماً مع نفسى من أجل تحقيق هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجعت عشر خطوات بحيث اقتضانى التغير الكامل سنوات كثيرة طويلة.

وأنا اليوم أدرك أن تغيير العادات النفسية من أصعب الأمور، ولذلك أعتبر كفاحى المتواصل لتعديل أعماقى النفسية، ومسلكى الاجتماعى كفاحاً بطولياً،

لم يساعدنى عليه إلا الله تعالى برحمته السابغة، ورعايته الدائمة، مهما يكن فإن فى نيتى أن أفرغ يوما لانتخاب مختارات من مذكراتى فى مادسن/ وسكنسن للنشر وقد أعطيت حلقة منها إلى جريدة الأهرام صيف سنة ١٩٦٦، فنشرتها فى عددها الصادر يوم ٥ / ٨ /١٩٦٦.

وعندما رجعت من الولايات المتحدة، مررت فى طريق العودة بإيطاليا، وجنوب فرنسا، ثم عرجت على دمشق حيث مؤتمر الأدباء العرب الثانى فى بلودان، وكانوا قد وجهوا إلىّ دعوة وأنا فى الولايات المتحدة. وكنت يومها أحس بنوع من الأزمة أعانيه، فقد كان التعبير بالعربية لا يطاوعى تماماً بعد سنتين لم أتكلم خلالهما إلا بالإنجليزية، وكانت حياتى الفكرية والروحية كلها تقوم على هذه اللغة الأجنبية، وكنت أحس بذلك إحساساً قاسياً بخاصة خلال وجودى فى مؤتمر الأدباء الذى افتتحت به عودتى إلى الوطن العربى الحبيب. ولم يزايلنى هذا الإحساس إلا بعد مرور أشهر فى العراق استعدت خلالها طلاقة التعبير بالعربية.

وفى عام ١٩٥٧ صدرت فى بيروت مجموعتى الشعرية الثالثة (قرارة الموجة)، وقد احتوت على منتخبات من شعرى بعد (شظايا ورماد)، ونشرتها دار الآداب ببيروت.

وفى عام ١٩٥٨ قامت فى العراق ثورة ١٤ تموز، وأثرت فى حياتى أعنف تأثير حتى استغرقت كل لحظة من عمرى ذلك العام. وقد استقبلتها بقصيدة ساخنة بدأتها:

فرح الأيتام بضمة حب أبوية

فرحة عطشان ذاق الماء

فرحة تموز بلمس نسائم ثلجية

فرح الظلمات بنبع ضياء

فرحتنا بالجمهورية

وكانت القصيدة تعبيراً بسيطاً عن الفرح العميق الغامر. وتحذيراً من مؤامرات أمريكا، والصهيونية العالمية:

السوق صحا يا ورد حذار

من نقمته الصهيونية

ومخالبه الأمريكية

ولكن عبد الكريم قاسم سرعان ما انحرف، واستهوته شهوة الحكم، وسمح للشعوبية أن تمس جمال الثورة، وتقضى على مبادئها القومية التى أحبها أشد الحب، وقد اضطرنى عسف الحكم، وتهديده المستمر إلى ترك العراق، والسكن ببيروت عاماً كاملاً (١٩٥٩ - ١٩٦٠) وخلال ذلك، واصلت نشر إنتاجى القومى فى مجلة (الآداب).

فى عام ١٩٥٧ عينت مدرسة معيدة فى كلية التربية ببغداد أدرس النقد الأدبى، العروض، وبعد عودتى من بيروت عام ١٩٦٠ تعرفت إلى زميل جديد فى قسم اللغة العربية هو الدكتور عبد الهادى محبوبة، خريج جامعة القاهرة. وفى منتصف عام ١٩٦١ تزوجنا، فكان لى نعم الصديق والرفيق والزميل.

وفي عام ١٩٦٢ صدر لي أول كتاب في النقد الأدبي هو (قضايا الشعر المعاصر)، وقد درست فيه الشعر الحر دراسة خاصة مفصلة، ووضعت له عروضاً كاملاً اعتماداً على معرفتي للعروض، وعلى قوة سمعي الشعرى، وعلى كثرة قراءتى لشعر الزملاء من الشعراء، وقد أهديت الكتاب إلى الرئيس العربى جمال عبد الناصر، متحدية عبد الكريم قاسم الذى كان يمقته أشد المقت.

وفي عام ١٩٦٤ سافرنا، أنا وزوجي، للعمل في تأسيس جامعة في البصرة حيث كان الدكتور عبد الهادى رئيساً للجامعة، وكنت أعمل في التدريس بقسم اللغة العربية، ثم انتخبت رئيساً للقسم واستمر عملنا هناك أربع سنوات، وغادرنا البصرة إلى بغداد آواخر عام ١٩٦٨ حيث عدنا إلى التدريس في كلية التربية سنة واحدة، غادرنا العراق بعدها إلى الكويت للتدريس في جامعتها.

وفي عام ١٩٦٤ دعاني معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة إلى إلقاء محاضرات حول الشعر في موضوع أختاره، فعكفت على كتابة كتاب عن الشاعر المبدع على محمود طه الذى كنت تأثرت بشعره خلال فترة الصبا، يوم كنت طالبة في فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة، وقد طبع هذا الكتاب (شعر على محمود طه) في القاهرة عام ١٩٦٥. وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرفة الحمراء)، وقد طبعته دار العلم للملايين.

وفي أول سنة ١٩٧٨ صدرت لي مجموعة شعرية رابعة عنوانها (شجرة القمر)، تطور فيها شعرى تطوراً واضحاً عما كان عليه في المرحلة السابقة، مرحلة (قرارة الموجة) التى كنت خلالها أميل إلى الفلسفة، والفكر في شعرى، ونثرى جميعاً.

وفى عام ١٩٧٠ صدرت مطولتى الشعرية (مأساة الحياة وأغنية للإنسان)، عن دار العودة ببيروت.

* * *

وبعد، فهذه خطوات مركزة مختصرة من سيرة حياتى كتبتها تلبية لطلبات كثيرة ترد على من الباحثين، وطلبة الجامعات الذين يكتبون رسائل ماچستير، ودكتوراه. أما سيرة حياتى المفصلة، ففيها كثير من الغرائب الممتعة، وأرجو أن يتاح لى أن أفرغ لكتابتها يوماً قبل الموت.

تقدمــة

بقلم الشاعرة

تضم هذه المجموعة الشعرية قصائدى التى نظمتها سنة ١٩٧٤، وقد عنونتها « يغيِّر ألوانَهُ البحرُ »، وتسبق هذه القصائد مجموعة لدى دار العلم للملايين، وقد حالت أحداث لبنان دون طبعها حتى الآن.

ولست أحاول أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة وإنما لى ملاحظة على قصيدتين فيها هما « زنابق صوفية للرسول » و « تمتمات فى ساحة الأعدام » وقد ابتدعت فيهما بحراً جديداً غير مستعمل أضفت به إلى بحور الشعر الحر الصافية. ووزن هذا البحر فى أصله العروضى «مستفعلن فاعلن فعولن» وهو الوزن الذى يسميه العروضيون «مُخلَّع البسيط»، وقد لاحظت فجأة أن من الممكن أن نقسم هذا البحر إلى تفعيلتين فى الشطر الواحد بحيث يصبح هكذا:

مستفعلاتن مستفعلاتن   مستفعلاتن مستفعلاتن

والفرق بين الوزن الصافى وأصله فى (مخلع البسيط) حرف واحد كما يلى:

مستفعلاتن مفاعلاتن

مستفعلن فاعلن فعولن

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ الذى لا يحسن العروض أو يفهمه هو {« لماذا لم ينتبه الخليل بن أحمد إلى هذا الوزن ولماذا لم يكتبه على مستفعلاتن مفاعلاتن»} وجواب هذا السؤال أن التفعيلات العشر التى جعلها أساساً لعروضه لا تتضمن الزيادات والنقصان فهو قد وضع التفعيلة «مستفعلن» دون زيادة ولا نقصان، فإذا اعترتها زيادة سبب خفيف «تن» فإن الخليل لم يسمح أن تقع هذه الزيادة إلا فى عروض البيت وضربه، ومن ثم يكون لدينا «مستفعلن مستفعلاتن» ولا يجوز أن نقول «مستفعلاتن مستفعلن » لان هذا السبب الخفيف لا يزاد فى حشو البيت مطلقاً. ولذلك أيضاً جعل الخليل وزن مخلع البسيط الخليلىّ «مستفعلن فاعلن فعولن» . ومهما يكن فإذا كتبنا الوزن بزيادة حرف واحد على مخلع البسيط الخليلىّ «مستفعلن فاعلن فعولن» نتج لدينا «مستفعلاتن مستفعلاتن» وهو وزن صافٍ يضيف بحراً جديداً إلى شعر التفعيلة، فبتكرار «مستفعلاتن» أى عدد من المرات فى الشطر الواحد ينتج لدينا شعر حر كما يلى:

مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

مستفعلاتن

مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن مستفعلاتن

وما كدت أهتدى إلى هذا حتى اعترانى فرح غامر، لأن إضافة وزن جديد إلى أوزان الشعر الحر، سيوسع مدى هذا الشعر ويعطيه بعداً جديداً. وبادرت فوراً إلى نظم قصيدة «زنابق صوفية للرسول» وكانت فكرتها مختمرة فى ذهنى منذ حين، فتفرغت لنظمها وقلت:

البحر إغماء لحن حب. البحر زرقه

مستفعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

البحر طفل مسترسل الشعر للضحى فوق مقلتيه

مستفعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

إنكسارة، رقّة، وشهقه

مفاعلاتن مفاعلاتن

ونجحت الفكرة نجاحا باهراً، وأتممت القصيدة فى يسر، وعندما انتهيت منها أحسست أننى أضفت إلى الشعر الحر وأوزانه الصافية السبعة، فهذا بين أيدينا بحر صافٍ ثامن. وليس يخفى أن تحول (مستفعلاتن) إلى (مفاعلاتن) بالخَبْن، وإلى (مفتعلاتن) بالطىّ، قاعدة واردة فى زحافات الرجز وضعها الخليل نفسه.

واندفعت اندفاعاً حاراً أنظم قصيدة «زنابق صوفية للرسول» المنشورة فى هذه المجموعة.... ولكن : بعد انتهائى من نظم القصيدة لاحظت أننى وقعت فى خطأ تكرر مراراً عبر القصيدة ومؤداه أننى كنت أقول أحياناً «مستفعلاتن فعولن فعولن فعولن» فأنتقل من تفعيلة الرجز التى بدأت بها إلى تفعيلة المتقارب. وكانت أذنى تتقبل ذلك وهو الأمر الغريب ، وقد حدث مثل هذا تماماً فى قصيدة «تمتمات فى ساحة الأعدام» التى هى أيضاً من (مخلع البسيط). وغاظنى هذا غيظاً شديداً ، فلماذا أقع أنا فى هذا الخطأ فأبدأ الشطر بمستفعلاتن وأنتهى بفعولن كما فى قولى:

وقلتُ فى لهفةٍ أتوسل: أحمدُ. أحمدُ

مفاعلاتن فعول فعول فعول فعول {فعول مصابة بالقبض}

والغريب أن سمعي يتقبل هذا حتى الآن. وكانت التفعيلة «فعولن» تشاكسني وتظهر فجأة في أواخر بعض الأشطر.

بعد ذلك حاولت أن أصحح هذا الخطأ، فوجدت أن جوّ القصيدة سيتفكك، وتزول حرارة المعاني فآثرت أن أتركها كما هي على أن أتحاشى الخطأ في المستقبل، وبالفعل عدت عام ١٩٧٥ إلى الوزن الجديد ونظمت منه قصيدة طويلة هي «نجمة الدم» لم أخرج فيها على الوزن مطلقاً وإنما حافظت على «مستفعلاتن» عبر القصيدة كلها، وهذا نموذج منها:

بيروت غابه

مستفعلاتن

ومن دماء القتلى على جفنها سحابه

مفاعلاتن مستفعلاتن مفاعلاتن

أين ترى البحر؟ كان بالأمس ها هنا يا بيروت بحر

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مستفعلاتن

تكتب أمواجه وتمحو وينثر الشذر والغرابه

مفتعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

والحقيقة أنني لا أدعو أي شاعر إلى استعمال الوزن الأول المختل، وأعترف أنه حدث دون أن أنتبه خلال وهج الحالة الشعرية، وإنما جاء الانتباه بعد الانتهاء من القصيدتين «زنابق صوفية

للرسول» و «تمتمات فى ساحة الأعدام» ولا شىء أدافع به عن نفسى إلا كون هذا الوزن ابتكاراً منى ولم يستعمله الشعراء قبلى بحيث تكون أمامى نماذج وأكون مجهزة بتجارب.

بعد هذا أضع بين يدى القارىء مجموعتى هذه، راجية أن تنال رضاه وتعطى جديداً إلى شعرنا الحديث.

نازك الملائكة

الكويت : ٩ /٦/ ١٩٧٦

ويبقى لنا البحر

وقفنا على البحر تحت الظهيرة طفلين منفعلينْ
وروحىَ يسبح ، عبر مروجكَ ،
فى نهر عينين مغدقتينْ
وقلبىَ يركض خلف سؤالٍ
حملت براعمه عطر مرعىً ، على شفتيك

سؤالُكَ فيه عذوبةُ ريح الشمالِ
وروعة أغنية سكبتها كمنجاتُ شوقٍ مخبأة فى يديك
سؤالكَ لونُ سماء على بِرَكٍ ودوالى

سألتَ عن البحر هل تتغّير ألوانُهُ ؟

وهل تتلون أمواجُهُ ؟ هل ترى تتبدلُ شطآنه ؟

سألتَ وعيناك واسعتان اتّساع الرؤى

ووجهك نجمٌ نأى

وسُفُنٌ مضيعة لم تجد مرفأً

سألت وهدبُكَ دهشة طفلِ

ورعشةُ سنبلة ، وتموُّج حقلِ

وكانت يداك شراعين منهمرينْ

على زورقينْ

وراء المدى والرؤى شاردينْ

وقلت، نعم ، يا حبيبى
يغير ألوانَهُ البحرُ ،
تعبر فيه سفائن خضرُ
وتطلع منه مدائن شقرُ
ويشربُ حِيناً دماء الغروبِ
ويصبح حيناً بلون الفضاءْ
يلملم زرقَتهُ يا حبيبى
ويحلم ، يرنو بعينين شَذْرِيّتَينْ
سماويّتينْ
إلى اللانهاية ، يأخذُ لونَ الضياءْ
صباحاً ويُطفىء كلَّ ثرياته فى المساءْ

سألتَ عن البحر ، هل تتغير ألوانهُ ؟

وهل تتلونُ أمواجُهُ ؟ هل ترى تتبدل شطانهُ ؟

نعم يا حبيبى ،

وبحر يُلاطم وديانَ نفسى

ويرحل عبر موانىء لونٍ وشمسِ

وعبر حقول مغيبِ

ويغتسل الغسق القمرىُّ بأمواجه ويبلل شعَرهْ

ويُلقى إليه سماءً وفكرهْ

نعم يا حبيبى ، نعم ، ويلون خْلجاَنهُ

نعم ويغير أَلوانَهُ

فيشرب صُفْرة شكّى وظنّى

ويصبح أزرق فى لون لحنى

وتُبْحِر فى شَذْر أمواجه أغنياتى وسُفْنى
ويصبح أبيضَ ، تصبح لُجَّتُهُ ياسمينهْ
ويصبح أخضرَ ، مثل اخضرار العيون الحزينه
ومثل زَبَرْجَدِ نهرِ النهاوند فى قعر حزنى

سألتَ عن البحر ! هل تتغير ألوانه ؟
وعيناكَ بحرٌ ترامى وضاعت
حدود مداهُ وشطآنُهُ
نعم يا حبيبى ، يُغَيِّرُ ألوانَهُ ويصير بلون الرماد
له كل طعم ليالى السهادْ
رماديةٌ كل أسماكه ، ورمادْ
لآليه ،
إسفنجُهُ ،

أخطبوتاتُهُ ، ورمادْ

مدائنه الغارقات القباب ، ولونُ الرماد

جبين غريق طفا وتوسَّدَ أمواجَهُ الملح ، مغمًى عليهْ

ويبتلع الماء ، والمِلْح عوسجةٌ ورماد على شفتيهْ

وبحرى وبحرك ، بحر الرماد

حنونُ الفؤاد

له قسوة تلثُمُ الجرح ، تفرش لين وسادْ

وبحرى وبحرك شاكس جسم الغريق الرمادى

أرسل موجَتهُ القاسيةْ

لتلطمه، وعروس بحورٍ لتحملَهُ ،

للرمال النبيذية الناسية

ويرقد من دون وعى على الجرف ، مغمى عليه ،
وبحر الرماد
يرشرشُ إغماءَهُ ، والشبابُ الغريق /
تغازل خديه ، موجة حب ، وتغسل جبهَتَهُ وتُريقْ
عليه المحبة والملح والرغو ،...
حيناً يغطى الجسدْ
وحينا يعود ويرتدُّ عنه ، ويتركُهُ لذهول الأبدْ

ويا من تسائلنى :
هل يغيرّ بحرى وبحرُكَ ألوانَهُ ؟
ومثل الغيوم يلوّن ، يرسمُ ، بالزيت والفحم شطآنُه ؟

حبيبى لقد كان لى فى الطفولة جَدٌّ
طويل كمثل جدائل شعرِ ربيعٍ وريفْ
وكان لجدّىَ عمقٌ ،
وظلٌّ ،
وبُعْدُ
له عنف عاصفة فى خريْف
وكان مدى فى بحار مطلسمة لا تُحَدُّ
وجدّىَ كان قوياً كَمَوْجَة بحر مخيفْ

وفى ذات يوم سَرَتْ ألسُنُ النار فى بيتنا
مضت تمضغ الباب ، تُشعل لين الستائرْ
يدور اللهيب دوائرْ

يزمجر فى شرُفات مُنَانا ، ويضحك من رعبنا
يهدّد أن يتوسّع ، يركض فى حيّنا
وينذر أن يتغدّى خدوداً ،
شفاهاً ،
ظفائرْ
ويغتال حتى شباب البيادرْ

وأقبل جَدّى مندفعاً مثل موجة بحرِ
وأرسل صيحة هول وذُعرِ
تحدَّر فى عنف إعصار نوء ، يسب ويلعنْ
شتائمه مطر وحنانٌ ، شراستُهُ بيت شِعْرٍ ملَحَّنْ
وهمسُ صلاة ، ونجمة فجرِ
وزورق عطرِ

ومدٌّ السباب على شفتيه غديرٌ ملوَّنْ
وأطفأ جدى الحريق ، وأنقذ هدبى وشَعْرى

حبيبى ، وجَدّى قد كان بحرا
يغير ألوانَه وتصير محاجر عينيه سوداً وخُضْرا
يبدّل أمواجه ، يترامى ، يصوغ لآلىءْ
يُسيل ينابيعَ ، يُرسى شواطىءْ
ويبدع مداً ، ويصنع جَزْرا
يبعثر عبر ازرقاق الخليج جزائرَ شُقْرا

وكانت جرادله وهى تلعن ، كانت قماقم بلَسَمْ
تكسّر أسورة النار ، عن ساعد ليِّنٍ وذراع ومعصمْ
وقسوة أمواج بحرىَ صارت أكُفّاً وَصدْرا
لتحمل جسم الغريق الرمادى تمطره قُبلاُتٍ وزهرا
وترميه فوق ضفاف السلامه
رفيف جناح حمامة

وتعطيه عمراً جديداً
وتزرع إغماءَهُ حلُماً
وسنابلَ ذكرى
وبردَ غمامَهْ

عن اللونِ والبحرِ تسألنُى يا حبيبى ؟

وأنت شراعى ،

وألوان بحرى

وغيبوبة الحلْم فى مقلتى

وأنت ضباب دوربى

وأنت قلوعى ،

وأنت ذُرَى موجتى

ووردة حزنى ، وعطر شحوبى

عن اللون والبحر تسألنى يا حبيبى

وأنت بحارى

ومَرْجانتى ومحارى

ووجهك دارى

فخذ زورقى فوق موجة شوقٍ مغلفةٍ ، خافية
إلى شاطىء مبهم مستحيل ،
فلا فيه سهلٌ ولا رابيه
إلى غَسَقٍ قمرىّ المدارِ
عميق القرارِ
وليس له فى الظهيرة لونُ
وليس له فى الكثافة غصنُ
ولا فيه هولُ ، ولا فيه أمنُ

هنالك سوف نضيعْ
ونأكل دفء الشتاء ونقطف ثلج الربيعْ
ونغزل صوف الصقيعْ

هناك لا طول للظل فى حلْمنا لا قِصَرْ
ولا دفترٌ للقدرْ
ولا شيء يمكن أن يرتقيه النَظَرْ
سوى موج أغنية تتحدّر عبر جبال القمر

ونَضْحَكُ نبكى وعيناك تعكس لون البَحَرْ
ويبقى لنا اللونُ ،
والبحرُ ،
والأبد المنتظَرْ

١٥ جمادى الآخر ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/٦/٥م

الماء والبارود

من ذكريات حرب رمضان (أو أكتوبر) سمعت الشاعرة أن فرقة من الجيش المصرى فى سيناء كان أفرادها صائمين ، وحان موعد الأفطار وقد نفد الماء عندهم فراحوا يتضرعون إلى الله. فجاءت طائرات إسرائيلية وقصفت المعسكر فتفجر الماء من الأرض حيث كانت مواسير المياه اليهودية مدفونة .

اللهُ أكبرُ
اللهُ أكبرُ
هتافةُ الأذانِ فى سيناءَ تُبْحِرُ
من موجِها تسيلُ فى الصحراء أنهُرُ

اللهُ أكبرُ

نداءُ رحمة نَدٍ تشربه الرمالْ

مدّ جناحيه ، ارتمى فى حُضُن التلالْ

محمولة أنغامه على شراع أبيض مرورُهُ معطَّرُ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون أفطروا

من شفة المؤذن الخاشع يهمى المَطَرُ

والله باسطٌ عليكم أجمل الظلالْ

تسبيحة معطّره

ورحمة من السماء انحدرتْ معسولة مقطّرة

يشرب تهويماتها المعسكرُ القابعُ فى الظلماءْ

عطورها منهمره

على جنود مصرَ فى سيناءْ

تجمّعوا وخيموا فوق قفارٍ مُحَرقَاتِ الرمل في الصحراءْ

وهم عطاش لم يذوقوا منذ أمسِ الماءْ

شفاههم منعصره

صيامهم من عطش حناجرٌ مستعره

لكنّ فى وجوههم ضراوةَ الصاروخ والمدافع المزمجره

و (الله أكبر) على شفاههم غناءْ

بنورها ، بسرّها يزحزحون القلعة الشّماء

ومن لُهاث العطش القاتل باتوا يشربون حُرْقة الهواءْ

عيونهم تستمطر السماءْ

ربّاهُ فجّرْ بين أيدينا عيونَ الماءْ

هاتِ اسقنا يا ربّ من لدنْكَ كأس رحمة مطهره

يا واعد المؤمن بالصحو وبالظل الندىْ الظليلْ

هاتِ اسقنا كما سقيت الطفل إسماعيلْ

كما رويتَ أُمَّهُ الوالهة المنكسره

بعد هيام ضائع طويلْ

فى مُدُن العويلْ

جنود مصرَ فى تلال النار والحُمَّى

وصفرة الرُّبَى المبعَثره

جاءوا لوجه الله ذاقوا لذعة الصيامْ

تهدّجت تحت أكفهّم صواريخٌ ،

وكانت لهمو الشرابَ والطعامْ

جنود مصر نقمة منفجره

وحرقة إلى كؤوس الماء لا تنامْ

إيمانهم صيرًّ سيناء لطيّارى اليهود مقبره

رمالها مزمجره

وهم عِطاشٌ يتلوون صدىً وتعطش الخيامْ

وحقد إسرائيل قد صيّر جناتِ الوجود مجزره

وامتصً نُسْغَ الشجره

رملٌ... ، وريحٌ تزفرُ...
وبطن وادٍ ساكن معفَّرُ
ينهض فى جانبه العطشان بيت الله
وخيمة صغيرة لهاجر... وليس من حياه
لا ظُلَلٌ نديّةٌ لا مهَد أعشابٍ ولا مياه
وصوتها يهتف : إبراهيمْ !
يا مغدق الحنان والرأفة ، إبراهيمْ
لأين تمضى مسرعاً ؟ لأين إبراهيم ؟
وفيم قد تركتنا فى قلب رمضاءَ هنا نهيم ؟
لا حبٌّ ، لا شفاهْ
تمنحنا أغنية ، تبارك ابتهالنا فى خشعة الصلاه
وحولنا وادٍ سحيقٌ مقفر ضَيَّعنَا مداه

وليس من شاةٍ هنا فما الذى سننحرُ ؟

وليس من شجيرة تُظلِّنا وتثمرُ

وليس من سحابة تمنحنا رشاشها وتُمطرُ

ويهتف الصوت الحزين :

أين قد تركتنا ؟ وفيم إبراهيم ؟

ويختفى خلف التلال شخصُ إبراهيمْ

وهاجر باكية والطفل إسماعيل فوق صدرها يتيمْ

الله أكبرُ

يا صائمون أفطروا

من أين يا رب لنا بالماءْ ؟

جارنا عطشى وتمتدُّ حوالى جَدْبنا الصحراءْ
شفاهنا من عطشٍ سيناء
ولا سحاب ، لا دموع ، ربٍّ فى السماءْ
ويركع الجنود مصروعين فى ضبابة الإغماء
عيونُهم تَحرُّقٌ يستعرُ
رجاؤهم يُحتضرُ
على الرمال يَضْمُرُ
ويَضمُرُ
ويَضمرُ

الطفل إسماعيلُ يبكى عطشا
لم يبقَ فى خدَّيْه لون وقَمَرْ

وهُدْبُهُ يسحُّ إيقاعَ مَطَرْ
وغصن جسمه ذوى وارتعشا
وانكمش الوجهُ الوضى المقمرُ
وفى تراب مكةٍ تبعثر الشعرُ الجميلُ الأشقرُ
وقلبُ أمه الحزين برعمٌ مُنْهَصِرُ
ودمعها على مرايا وجهها ينحدرُ
تهيم فى العراءِ ،
تجتاز سهولَ النار فى ذهولها وَتعْثرُ
ويكتوى من دمعها المحموم حتى الحَجَرُ

وسبع مرات ٍ سعتْ والهةً بين الصفا والَمرْوَهْ

وتارة يُنبت جرحاً خدُّها

وتارة تسقط ولهى فى قرار هُوَّهْ

وكبوة ، وكبوة ، وكَبْوَهْ

قد تركت عشرين خطّاً من دمٍ على سنا جبينها

والريح صبت هولها ، فراغها ، عويلها

فى حَدْقتى عيونها

تمزقت ثيابها وأغدقتْ

على حواشيها الهُوَى من شوكها وطينها

يا هاجرُ الحزينة اهدأى
رَيَّانةً هذى الرياح أقبلتْ ، تحملُ أحلى نبأ
لطفلك الصارخ فى دثاره المهترىء

تقطِّرُ الرياحَ حباً فى شفاه الطفل إسماعيلْ
تلمس خديه بعطر نسمة بليل
وتسكب الحياة والخضرة فى كيانه النحيل
وقالت الرياحُ : إسماعيل
فردد البيت العتيق تحت حر الشمس : إسماعيلْ
وانحنت السماء قوساً أزرقاً يلثم إسماعيلْ

اللهُ أكبرُ

ضَجَّ بها المعسكَرُ

يا صائمون انتظروا

إن وراء جدبكم جذرَ حنانٍ سوف يُزْهِرُ

وخلف حَيْرة العطاش كوكبٌ أضاءْ

ورحمة من ربكم تنحدِرُ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون ربُّكم قد سمع الدعاءْ

والطائراتُ أقبلتْ تهدر فى الفضاءْ

تقذفكم صواعقاً وتُمطرُ

على روابيكم لظى حرائقٍ

تريد أن تغرقكم فى بِرَكِ الدماءْ

والله فى سمائه يقدرٌ

يدبرُ

يمطر فوق صومكم أنداءْ

يسقيكمو من يد أعدائكمُ أحلى كؤوس الماءْ

والله للمؤمن ثلجٌ مغدق فى لهب الصحراءْ

ووجهه الغامر فى شراسة النيران كُوثَرُ

وطوق وردٍ أحمرُ

وبلسمٌ وماءْ

ماذا تقول الريحْ ؟

ماذا يغمغم الندى المنثور مثل ثلجةٍ

على خدود الريحْ ؟

يرفرف الهواءُ لاثماً خدود هاجرِ
يشرب من دموعها ، يُلقى على وجنتها
طراوةً وضوء فجرٍ ماطرِ
وفى مرور عطره نداءْ
يأتى من السماء
يمسحُ يأس الأم ، يروى قلبها الجريح

يا هاجرُ... الصبىُّ إسماعيل سوف يرتوى
برحمة من ربه ، وتنطوى
دموعك المحمومة الحزينه
سيدفق الماءُ ويسقى سيلُهُ الغصنَ الكسيرَ الملتوى

يرطّبُ الماء لإسماعيلَ عينيه ،

يديـهِ ،

فَمَـهُ ،

جبينَـهْ

يعطيه ياسمينَهْ

يا هاجر الحزينه

وسبعَ مراتٍ سعتْ باكيةً بين الصفا والَمْروَهْ

تحمل فوق خدّها وردة حزن حلوَهْ

ودمعها وحزنها على شفاه الريحْ

تنهيدة وغنوَهْ

يمتصُّها سمع المدى الجريحْ

وطفلها يصيحْ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون انتظروا

من أين يا ربِّ لنا بالماءْ

من كف أعدائكمو سوف يسيل الماءْ

ويُخصب الصحراءْ

نيرانهم تَخْضرُّ فى حضن معسكراتكم مشاتلا

وقصفُهم يُنبت فى جراحكم سنابلا

يملأ راحاتكمو بالماءْ

يسيل ما بين خيامكم

جداولاً ، جداولا

فيشرب العطشانْ

من مطر الرحمة والحنانْ

ويصعد الأذانْ

وترشف الصحراء من عذوبة الصيام والقرآنْ

ماذا يقول الطفل إسماعيلْ

عويله فى الريح شاجٍ ، مُحْرق ، طويلْ

وهاجر دموعها صلاهْ

وصمتها شفاهْ

يائسة تصيح : يا ربّاهْ

من أين يأتى الماءْ

فى هذه المفازة الجدباءْ ؟

وتهطل الدموع من شواطئ المحاجر السوداءْ

يا ربِّ أعط طفلىَ الظمآنَ كأسَ ماءْ
اسْقِ صغيرى ، إسق إسماعيلْ
يوشك أن يموت يا ربّىَ إسماعيلْ

وسقطتْ مُغْمىً عليها ، وانسدال شعرها الطويلْ
فوق الثرى جداولٌ سوداءْ
سنابلٌ بعثرها الهواءْ

ومرت الريح على حرائق الرمضاءْ
وليس من صوتٍ سوى العويلْ
عويل إسماعيلْ
والله يصغى والسماءُ دمعةٌ تسيلْ

اللهُ أكبرُ

يا صائمون أفطروا

نداءُ رحمةٍ طريٌّ الصوت عذبٌ ملأ الأرجاءْ

وينبش الجنود فى الرمال ، ما من ماءْ

رباه ما من قطرة من ماءْ

نهار صومنا انقضى ، وليلنا قد جاءْ

وحولنا تحترق الصحراءْ

ووردةُ الرجاءْ

يابسة فى دمنا

فى فمنا ،

فما من ارتواءْ

والموتُ يا رباهْ يهمى مطراً تصبهُ قواذف الأعداءْ

* * *

سبحان من قد أنهض السماءْ
من دونما أعمدة ، فى لا نهاياتٍ من الضياء
فى غابة من شُرَف الكواكب البيضاءْ
سبحان من يسقى تعطُّش الأسى ، ويسمع الدُّعاءْ
ويُمطر الشفاءْ
على مريض جائع شفاؤه أسطورة على فم الدواءْ

الله أكبرُ
الكونُ حول الطفل مبهور يُكبّرُ
عطشانُ إسماعيلُ عطشانٌ ولم يعد على العذاب يَصْبرُ
رجلاه تضربان فى حزنٍ ترابَ مكة بجدبه ومَحْلهِ
وتدفُقُ المياه نشوى عذبة ،

من تحت رِجْلهِ

يسيل جدولٌ بَرودُ مُسْكرٌ من تحت رجلهِ

وتصرخ الأم : يسيلُ الماءْ

الماء يا ربى ، يسيلُ الماء

من تحتِ رجلىْ ولدى تنبُعُ عينُ ماءْ

وتحملُ الطفلَ تبلُّ الشفتينَ بلَّةً بجرعة من ماءْ

تسقيه هاجرٌ وضوءً من جراح وجهها يسيلْ

وشعرها المسترسلُ الطويلْ

منسدلٌ يخفق حول وجهه الجميلْ

وابتسم الطفلُ ! ويا هاجرُ !

صلى لمُزيحِ الموتِ والظلامْ

قد ارتوى طفلك إسماعيلُ وانْجاَب ضبابُ دمعه ونامْ
والماءُ يا هاجرُ يهمى زاحفاً ويكثُرُ
ينتشرُ
ينتشرُ
يسقى ترابَ مكةٍ تيَّارُهُ المنهمرُ

سبحان من أغدق من سمائه الرحمة والأمانْ
مفتِّح الورود فى يبوسةِ الكثبانْ
وساكبُ الشّذى نهوراً فى قفار الملح والدخانْ
وهدب مقتليكِ ، يا هاجرُ ، غيم ممطرُ
من شكْرِهِ لِربّه يقطرُ ثم يقطُرُ

واللهُ معطى الماء عِطرٌ وغناء مسكرُ

فى شفة الغيم ، وليلٌ مقمرُ

يعلّمُ النجوم كيف تَسْهرُ

ويُخبر العيونَ والأهداب كيف تْأسِرُ

والوردَ كيف يكْبرُ

الله أكبرُ

الله أكبرُ

جنودَ مصر الصائمين !

آه قد آن لكم أن تفطروا

لا يكذبُ اللهُ ولا يؤخّرُ

ألقوا بأمر الله يا يهودْ
قنبلةً ثقيلةً وَانْشَقَّ يا أخدودْ
فى باطن الأرض هنا . ولتنبجسْ يا ماءْ !
جداولاً تسقى العطاش . إنبجسْ يا ماء !
منابعاً غزيرة تُثرثرُ
بأمر رب الماءْ
لينبثقْ منكَ شذىً وسُكَّرُ
ما بين خيمات جنود مصر فى سيناءْ

ويشرب الجنودْ
يسقيهمُو اللهُ رحيقاً نابعاً من شفة البارودْ
تُحييهمو قنابل اليهودْ
فيرتوى الأحياءْ

ينبعثون من قرار السقْم والإغماءْ

حتى الذى صام وماتَ ،....

سوف يصحو موتُهُ ويُفْطر

يذوق طعم الماءْ

يغسله الماء من الدماءْ

فيشكرُ

ويشكرُ

والأرض تستقبله مبسوطةَ الأحضان بالورود والأشذاء

يزغردُ الموتى له، يرشرشونَ جرحَه الدامى

بماء الورد والحِنّاءْ

فقبرُهُ وسائدٌ خضراءْ

وموتُهُ حلْمٌ جميلٌ غارق فى اللون والضياءْ

ومن بعيد يرتمى فى سمعه نداءْ
وليس أحلى من صداهُ... ذلك النداءْ
الله أكبرُ
الله أكبرُ

وانبجسَ الماءُ النميرُ حيث عسكروا
ونام طفلُ الضوء إسماعيل : حول وجهه يضوعُ عَنْبَرُ
وأشرق العالم بالضياءْ
سبحان معطى الماءْ
مفجّر الندى من الصحراءْ
ومُنْبت الزنبقِ ، معطينا نهورَ الشّعْر والغناءْ

يا ربِّ ولْتُمْطِرْ عليَّ من سماكَ الأشطُرُ

والأبحُرُ

ولتسقِ شعرى أنتَ يا ممطرُ يا سقَّاءْ

يا غازلَ الأشذاءْ

يا من بسُقياه ورودى تَكْبُرُ

وأغنياتى تطهُرُ

الله أكبرُ

الله أكبرُ

٢٦ من ذى الحجة ١٣٩٣هـ

١٩/ ١/ ١٩٧٤م

زنابق صوفية للرسول

قصيدة حب للرسول الكريم فى صيغة معاصرة.

البحر إغماء لحنِ حُبٍ ، البحر زرقه
البحر طفل مسترسل الشعر ،
للضحى فوق مقلتيه انكسارةٌ ،
رفة ،
وشهقه

البحر تلهو عرائس الماء فى تراميه ألف جوقه
يلبسن غيماً، ينشرن أجنحة من ضبابْ
عرائس البحر ضيعتنى
زورق شوق هيمان فى فضة العُبابْ
وصيرّتنى
فراشة الرغو والسحاب
وملء روحى وجه حبيبى
تسبيحة عذبة ونجمه
وبرد نسمه
وجه حبيبى أكبر من لا نهاية البحر ، من مَدَاهُ
يسد أقطاره الزرق ،
يطوى طيورهُ ، موجَهُ ، رؤاهُ

وجهُ حبيبى : زنابق ، أكؤس ، مياهُ
وجه حبيبى واللانهايات عالم واحدٌ
ليس يُشْطَرُ أو يتجزّأ

يا بحر قل : أين ينتهى ذلك الوجه ؟
قل أين أنتَ تبدأ ؟
وجُه بحارٌ أضيع فيها ، وينطفى ضوءُ كل مرفأ
ومقلتاهُ ،
أين ترى تنتهى ؟ وفى أى نقطةٍ تبدأ البراءه ؟
وما حدود الألوانِ فيها ؟
وكيف يمتصُّ منهما البحر ليلهُ ؟
كيف يستعير الضحى ضياءَهْ

وجه حبيبى ، يا بِرْكة الصحو والوضاءه

وجه حبيبى كسَّرَهُ الموج واقتناهُ

أشعة ، زورقاً ، شراعاً

يحضن أفقاً ملوّناً ، يرتدى سماءه

وكان قلبى ، وكان قلبى

يسبح عبر استغراقة خصبة المرايا

فى موج غيبوبة وتيه ، فى حلم حبٍ

مضيّعٍ فى مروج هُدْبِ

يجوب لجّ البحور بحثاً ،

عن لؤلؤ ناصعٍ فيه ما فى قلب حبيبى

من ألق السرِّ ، من عطور ، ومن خفايا
من نغم دافىء الهبوبِ
يتمتم النبع فيه وتنساب ريح الجنوبِ
كنت على البحر أتُرع البحر من منايا

وجاءنى طائر جميلٌ وحطَّ قربى
وامتصَ قلبى
صبّ على لهفتى السكينه
ورشّ هدبى
براءة ، رقة ، ليونه
وقلتُ يا طائرى ، يا زبرجَدْ
من أين أقلبتَ ، أىّ نجم أعطاك لينَهْ ؟
يا نكهة البرتقال ، يا عطر ياسمينه

وما اسمك الحلو ؟

قال : أحمدْ

وامتلأ الجوُّ من أريج الإسراء ،

طعم القرآن ،

وامتدَ فوق إغماءة البحر ضوءٌ ،

من اسم أحمدْ

وقلتُ فى لهفة أتوسّلُ: أحمد، أحمد!

ناشدتُكَ الله ، لا تتساقط غبار نجمٍ مفتت ،

حلْم عابدة فى الدجى يتبدَد

عيناك ليلة قَدْرى وريشك شمع ومعبد

واسمك يا طائرى أعذبُ اسم : أحمد ، أحمد

* * *

أحمد كانت عيناه بحرا

تسقى يباب الوجود كانت تنشر عطرا

تنبت فى الصخر مرج شذر وأقحوانِ

تسيلُ نهرا

من زعفرانِ

أحمد قد كان يانعاً تنتمى الدوالى إلَى جبينه

وفى عيونه

نكهة أرضى ، وطعم نهرى ، وعطر طينهْ

أحمد قد لاذ بى ، ونمَّى أهداب لحنى

فى ولهٍ راعِشِ الحنانِ

أحمد مِن ضوئه سقانى

أحمد كان البَخُورَ والشمْعَ فى رمضانى

أحمد كان انبلاج فجر ، وكان صوفّية الأغانى

وأحمدٌ فى مروج تسبيحةٍ رمانى

كلا جناحَيْهِ بعثرانى

كلا جناحَيْهِ لملمانى

من أبَد الضوء جاء أحمدْ

من غابة العطر والعصافير هلَّ أحمد

عبر عطور القرآنِ ، عبر الترتيل والصومِ ، شَعَّ أحمد

من عمق أعماق ذكرياتى

من سنواتيِ المختبئاتِ

فى شجر السرِّو ، من عطور الخشخاش واللوز

وَجْهُ أحمدْ

يا طائر الفجر ،

يا جناح الزنابق البيض ،

يا حياتى

يا بُعدىَ الرابعَ الموسَّدْ

فى أغنياتى

يا طلعةَ المشمش الموَّردْ

فى زمنى ، عبر نهر عمرى ، فى كلماتى

أحمد ، أحمد !

يا لونُ ، يا عمق ، يا وجنة السرٍّ ، يا انفلاتىِ

من جَسَدى ،

من سلاسلى ،

من ثلوج ذاتى

من كل أقفال أمنياتى

يا طائر الصمتِ ، والغموض الجميل ، يا شمعدانَ معبدْ

أنت المدى والصعودُ ،

أنت الجمال والخصب ،

أنتَ أحمد

يا رمضانى ، يا سكرةَ الوجد فى صلاتى

يا وردتى ، يا حصاد عمرى ، يا كل ماضٍ ، يا كلًّ آتى !

* * *

ويا جناحى نحو سمائى ونحو ربّى
يا قطرةَ الله فى شفاه الوجود ، يا ظلتى ، وعشبى
انقُرْ تسابيح صوفية من على شفتيا

يَعْثُرْ قرائين بيضاً وخضراً فى صحن قلبى
يا سُبُحاتى ،
يا صوم أغنيّتى ،
ويا سنبلاً طرياً
إنى أنا حُرْقة المتصوّف فى غسق الفجر
أحمد ، أحمد ،
هل أنتَ إلا طائر ربى
يا ثلج صيفى ، يا لين سُحْبى

يا ضوء وجهٍ يطلع لى من كل جهاتى :

شرقى وغربى

ومن شمالى ، ومن جنوبى ، من كل تعريشة ودربِ

يطلع أحمد ، يطلع أحمد ، وجها نبياً

ملفَّعاً بالغناء والأنجم الشمالية المحيا

* * *

أحمد يا صافياً مثل أمطار آذار

يا ثلج أول الموسم الرحيمِ

مثل رفيف الأهداب فى أعين النجوم
أحمد يا شاطىء الأبديّه
عبر سماءٍ روحية الصمتِ ، ليلكيه
تشرب صوفية الغيوم
يا لاعباً بالضباب ، يا عَطَشَ المجدليّه

* * *

أحمدُ ، أحمدْ
أنا وأنتَ ، الطبيعة ، البحرُ... جوٌّ معبد
شمعة نذرٍ في خاطر المرتقى تتوقّد
والله في حلمنا المورّدْ
شبّاك عسجد
شبّاك عسجد

* * *

أحمد يا توق مقلتينِ
مضيئتينِ
خاشعتينِ
بالسرِّ والعمق مملوءتَيْن
يا وتراً من قيثارة الله ، يا وِرْدُ ، يا بّحة المؤذّن
يا أثراً للسجود ندّى جبين مؤمن

* * *

أنا وأحمد

أنا وأحمد

سكون ليلٍ ورجعُ تسبيحةٍ تتنهدْ

يحبنا البحرُ والهديرُ

تعشقنا موجةٌ وتغازل أُغْنيتَيْنا

عرائسُ الماء والصخورُ

نحن قرابين فى المُصلَّى ، نحن نُذورُ

أنا وأحمد

نشوة قديسة تتعبّدْ

سطور حبّ ممحوّة خلفها سطورُ

نهر مديدٌ، ولا عبورُ

أنا وأحمدْ

يحبّنا الليلُ يسهَرُ

يشتاق أعيننا

وبأسمائنا يتهجّدْ

يلثم أقدامنا البحرُ يحملنا فى اتجاه

بعد اتجاهٍ ،

أوّاه لو أنت أحببتَنَا أنتَ يا إلهى !

* * *

ومقلتا أحمدٍ صلاةٌ ،
مغفرةٌ ،
موعدٌ ،
بسملهْ

جناحهُ يجرف الخوفَ ، والحزنَ من حياتى
يزُ يحُ أستارىَ المُسدَله
يفتح فى عمرى كل بوّابةٍ مُقفله
يمنحنى للوجود شعراً ، أذانَ فجرٍ ، غيبوبةً ، ركعةً ، سُنبله
أحمد زنبقة الله تقطر فوق صلاتى
تنقط عطراً مذوّباً فى تنهّداتى

أحمد فوق شواطىء وعيى : فكرٌ، محبّه
والبحر من دون مقلتيه موتٌ وغُرْبه

من دونه العمر جرف ليالٍ ،
مثل الخطايا ، سوداء ، رطبه
أحمد تَوْبَةْ
أحمد توبه

* * *

وطارت الطير فى الصباحْ

طارت جميعاً تلعبُ فى الغيم والرياحْ

وتنقر الضوء فوق بَحْرٍ بلا انتهاءْ

ولم يطر أحمدٌ ، ظلَّ قربى

وظلَّلتنا سحب مبقعة بالضياءْ

كنا نغنى

للحبّ ، للبحر ، للسماءْ

كنا شراعينِ شاردينِ

مضّيعينِ

فى غاب لحنِ

تكسرتْ فى غنائنا الشمس والمرافى واللانهاية

تكسرتْ كل ضحكاتنا ، كل أشواقنا فى مَدَى حكاية

والمدُّ جاءْ

يلثم أقدامنا ، يتكسَّرُ

أحمد ، أحمد ،

نحن ، أنا ، أنتَ والأعالى

ليلٌ وصمتٌ ،

والله فى روحنا غناء

٥ رمضان ١٣٩٤

٢١ / ٩ /١٩٧٤م

دكان القرائين الصغيرة

فى ضباب الحُلْم طوّفتُ مع السارين فى سوق عتيقِ
غارق فى عطر ماء الورد ، وامتدّ طريقى
وسّع الحُلْمُ عيونى ، رش سُكْراً فى عروقى
ثملت روحى بأشذاء التوابلْ
وصناديق العقيقِ
وبألوان السجاجيد ،
بعطر الهيل والحنّاء ،
بالآنية الغَرقَى الغلائلْ

سرقت روحى المرايا ، واستدارات المكاحلْ
كنتُ نَشْوى ، فى ازرقاق الحلْم أمشى وأسائلْ
أين دكّان القرائين الصغيره
أشترى من عنده فى الحلم قرآناً جميلاً لحبيبى

يقتنيه لحن حبٍّ ،
قَمراً فى ليلةٍ ظلماء ،
خبزاً وخميره
عندما فى الغد يَرْحَلْ
من مطار الأمس والذكرى حبيبى
يتوارى وجهه خلف التواءات الدروبِ

* * *

سرتُ فى السوق ،

إذا مرّ بقربى عابرٌ ما ،

أتمهل

ثم أسألْ :

سيدّى فى أى دكّان ترى ألقى القرائين الصغيرة

أىّ قرآن ، سواءٌ أحواشيه حروف ذهبيّه

أم نقوش فارسية

أى قرآن ؟..... وفى حلمى يقول العابرُ

لحظة يا أختُ ، قرآنكِ فى آخرْ هذا المنحنى ، فى مندلى

اسألى عن مندلى
فهو دكان القرائين الصغيره
ويغيب العابرُ....
وجهه فى الحلْم لونٌ فاترُ...
ثم أمضى فى الكرى باحثةً عن مندلى
حيث أبتاعُ بما أملك قرآناً وأهديه حبيبى

حينما يرحلُ عنى فى غدٍ وجه حبيبى
وتغطيه المسافاتُ وأبعاد الدروبِ
حيث أبتاع من الدكان قرآناً صغيراً لحبيبى

ثم أهديه له عند الوداعْ

ليخبئَ ضوءه فى صدره بُرْعَم طيبٍ

وليؤويه إليه حرز حبى

وعصافيرى المشوقاتِ ،

وتلويح ذراعى

واختلاجاتِ شراعى

* * *

سرتُ في حلميَ في السوق قريره
أسرتْ روحي السجاجيدُ الوثيره
وأواني عطرِ ماء الورد ، والكعبةُ صوره
نعستْ ألوانها في حضن حانوتٍ ،
وفي حلمي مضيتُ

في دمي شوقٌ لدكان القرائين الصغيره
وحلمتُ
وحلمتُ
بقرائينَ كثيراتٍ ، وأختارُ أنا منها ، وأهدي لحبيبي
في صباح الغد قرآناً ، ويؤويه حبيبي
صدرَهُ تعويذةً تدرأ عنه الليلَ والسُّعْلاة في أسْفَارِهِ
تزرع اسم الله في رحلته ، تسقيه من أسرارِهِ

* * *

كان كلّ الناس لى يبتسمون

وعلى لهفة أشواق سؤالى ينحنونْ

زرعوا حلمى ورودا

وسّعوا السوقَ زوايا وحدودا

كلهم كانوا يشيرون إلى بعض مكانٍ غامض إذ يعبرونْ

يهمسون :

اسألى عن (مندلى)

ابحثى عن (مندلى)

دكّة فى آخر السوق وتُلْفين القرائين الصغيره

أطعموا قلبىَ من نكهة كُتْبٍ عنبريّاتِ كثيره

بينها ألقى عصافيرى القرائين الصغيره

حيث أختارُ وأهدى لحبيبى
واحداً يحميه من ليل الدروبِ
ووشايات المغيبِ
واحداً يحمله فى الطائره
باقةً من زنبق الله ، وسُحْباً ماطره

* * *

سرتُ طول الليل فى حلمى ، ولكن أين ألقى مندلى ؟
شَعَّبَ السوق حناياه ،
ترامى ،
وتَمدّدْ

صار عشرين ، دورباً وزوايا

وفروعا وخبايا

وتعدّدْ

وتعدّدْ

حيرتى أبصرتها طالعة من قعر آلاف المرايا

قذفتنى الإمتداداتُ ومصتنى الحنايا

وأنا أشرب كوباً فارغاً ، والسوق مُجْهَدْ

تحت خطوى ، ودمى يلهث شوقا

وأنا أعطش فى أرض الرؤى ، أذرعها غرباً وشرقا

لستُ أُسْقى، لست أُسْقَى

ضاع منى مندلى

ضاعَ ، لا القرآن ، لا الأشذاء لى

ما الذى بعد عطورى ، وقرائينى تَبَقَّى

* * *

مرَّ بى فى سوق حلمى ألفُ عابرْ

كلهم قالوا : – وراء المنحنى التاسع يحيا مندلى

حيث قرآنى وعطرى المتناثر

حيث أَلْقَى مندلى

مندلى يا أنهرا من عَسَلِ
يا ندىً منتثراً فوق بيادرْ
يا شظايا قمر مغتسلِ
فى دموعى ،
يا أزاهيرُ من الياقوت نامت فى غدائرْ
يا هتافاتِ أذان الفجر من فوق منائر

مندلى يا مندلى
اسمه فوق الشفاهْ
فلّة غامضة اللون ،
وشمعٌ ،
وتراتيلُ صلاهْ
وزروع ومياهْ

وأنا مأخوذة الأشواق أدعوه ولكن لا أراهْ

وأنا من دون قرآن حبيبى

ومع الفجر سيرحَلْ

فى انبلاج الغَسَق القانى حبيبى

وشفاهى صلواتٌ تترسَّل

وعناقيد دموع تتهدّلْ

انبثق يا عطش السوق   انبثق يا مندلى

يا قرائين حبيبى

يا ارتعاش السنبلِ

فى حقول الحلم من ليلى العصيبِ

* * *

أين منى مندلى ؟ والبائع المصروع من عطر القرائينْ ؟
ذاهلاً مستغرقاً فى حلُمٍ ؟
ضائعاً هيمان مأخوذاً بأفق مبهمٍ
يتشاجى ، وجدهُ سُكْرٌ وتلوينْ
صاعداً من ولهٍ فى عالم من عنبر مضطرمٍ
تائهاً من شوقه عَبْرَ بساتينْ
عطشات النخل ، والقرآن فى تمّوزها أمطار تشرينْ
مندلى يا ظمأى يا جرح سكّينْ
فى خدود وشرايينْ

*   *   *

وطريقى نحو دكّان القرائين الصغيره
فيه أوراد لها عطر عجيبُ

كل من ذاق شذاها تائهٌ ،
منسرق الروح ،
شريدٌ
لا يؤوبُ
مندلى يا حقل نسرينْ
ذقتُ أسرارَكَ واستبعدتُ كوبى
لم أعد أعرف فجرى من غروبى
وتواجدْتُ وضيّعتُ دروبى

وتشوقت لقرآنٍ ، على رفِّكَ غافٍ ،
أشتريه لحبيبى

* * *

وسمعتُ العابرينْ
يصفون المخزن المنشود : تسرى فيه أصداءْ
وتلاوين ، وموسيقى وأضواءْ
تصرع السامع صرعاً باختلاجاتِ حنينْ
وشموعٍ ودوالى ياسمينْ

آه لو أنى وصلتُ
آه حتى لو تمزقْتُ ،
تبعثرتُ ،
اكتويتْ
لو تنوقتُ العطورَ الساربات
حول دكان القرائين الصغيره

آه لو أمسكتُ فى كفّىَ قرآناً ،
كدوريّ حنون القَسَمات
واحد من ألف قرآن حواليه ضبابٌ ،
وشذى وردٍ ،
وموسيقى مثيره

ليس يقوَى قَطُّ إنسانٌ بأن يصغى إليها
يسقط الصاحى صريعاً ، غير واعٍ ، ضائعاً فى شاطئيها
آه لو أنى أطبقتُ عليه شفتيّا
هو قرآنُ حبيبى
آه لو لامستُ رياهُ بأطراف يديّا
هو وِرْدى ، وامتلائى ، ونضوبى
والنشيد المحرق المخبوء فى قعر دمى ، فى مقلتيّا

* * *

وانتهى السوقُ وفى حلمى يئستُ

وعلى دكّة آمالى الطعينات جلستُ

وانتحبتُ

لم يَعُدْ فى السوق من ركن قصىٍّ

لم أقلّبْهُ... وتاهتْ مندلى...

غرقت فى عمق بحر من ضبابٍ سندسىً

واختفت فى ظل غابات سكونٍ أبدىٍّ

لم يدع يأسىَ حتى سحبة القوس على الأوتار لى

ضاع حتى الظلّ منى ، وتبقّتْ لى روىً من طَللِ

أين أبوابكِ يا ترتيلتى ،

يا مندلى

يا عطور الهَيْل والقرآنِ يا وجه نبيٍّ
يا شراعاً أبيضاً تحت مساء عنبيٍّ

* * *

وإذن ماذا سأهدى لحبيبى
فى غد حينَ يسافر ؟
فرغتْ كفّى من القرآنِ غاضتْ فى صَحَاراىَ المعاصرِ
وخوى خدّاىَ إلا من غلالات شحوبى
وحبيبى سيغادرْ
دون قرآنٍ ، هديّه...

غضة تلمس خدّيهِ كما يلمس عصفورٌ مُهَاجرْ
جبهة الأفق برشّات غناءٍ عسليّه
وحبيبى سيسافر
خاوى الكف من القرآن ، من عطر البيادرْ
وحكايات المنائر
وأنا أبقى شجيه.
كظهيرات من الحزن عرايا غيهبيّه
ضا ع قرآنى ، وضاعت مندلى
واختفى وجهُ حبيبى
خلف غيم مُسْدَلِ
وامتدادات سهوبٍ وسهوبِ

فوداعاً يا قرائيني ، وداعاً مندلى

وإلى أن نتلاقى يا حبيبى

وإلى أن نتلاقى يا حبيبى

٨ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ

٢٨/ ٦/ ١٩٧٤م

ا

مرايا الشمس

أهْدَى إلىّ عبد الهادى خريطة لفلسطين

نامى على أهداب عينى يا خريطتها
ورفّى فى دمائى
إنى نَذرتُ لكى أكسّر قيدها زمنى ،
نزيفَ دمى ،
غنائى
آفاقها سأخطها بالورد ،
أغرس عند (بيت المقدس) الدامى قَرَنْفُلَةً كبيرة

وأحيلها فى عرض بحر من زهور الماء والدفلى جزيرة
وأشكّ عند حدود (عكا) زنبقه
حرّى الغلالة ، مغدقه
و (اللدّ) أنفحها برفة وردة جوريّه
حمراء غذّتها دماء شهيدة عربيّة
و (جنين) أعطيها شقائق غضة شفقيه
ول (غزّة) أختار سوسنة نضيره
و (لكفر قاسم) ألف ليلكة أبعثرها وأجدلها ضفيره
وعلى مشارف أرض (بيسانٍ) سأزرع ياسمينه
وبنفسجاتٍ عند (حيفا) عند (يافا)
عند (نابلسَ) الطعينه

ولدى مدينة (طولكرم) نرجسه
أصحى بها ذكرى أضاحٍ كالمرايا مُشْمسه
أهداب عينى يا خريطتها ، هنا ، نامى عليها
إننى ما بين بياراتها الثكلى سجينه
أمطرتها ورداً ، وعاشت خلف أسوار انفعالاتى
مدائنها الجميلات الحزينه
حتى زرعت فؤادىَ الخابى الشموع
على خريطتها مدينه

* * *

لا لا ، دعى الأزهار يا كفى ، خريطتها سأنقطها بدمعى
سأخط بالعبرات كل حدود (ناصرتى)
وبالشهقات أبنى (بئر سبعى)
سأحيط أسوار (الجليل) بخضرة ريانة
تنثال من ألمى ورفضى
وسأمنح (اللطرون) عصف رياح أحزانى ، أسيِّجها بنبضى
والطفلة السمراء (رام الله) أُرْقِدُها على مهدٍ
يرطِّبُ حرّه ثلج الدموع

والحزن حول غطائه الوردىّ أشرعةٌ ،
مواويلٌ ،
شموع

وسأزرع القلب الكئيب شجيرة ،
قمراً يُضوّئُ فى دجاهُ كل أرضى
فمن الشمال إلى الجنوب قرىً مغَمَّسةٌ بدمعى
وورود أحزانى تعشش فى مدائنها
تعطر كل زاوية وضلعِ
وبأدمعى حدّدتُ أرصفة الشوارع فى (الخليل)
ورشفت من حزنى جراراً من عبيرٍ
وارتويتُ من العويلْ

* * *

لا لا ، برئتُ من الحدود الدامعه
وجزعتُ أن ترنو إلى ً خريطتى من هذه المُدُن الحَزَانى َ

أنى سأشعل فى رباها ثورة ،

غضباً

دخانا

ولدى القُرَى السود العيون الضارعه

سأقيم من وهج القنابل مهرجانا

ويضوع عطر الموت ، يسكر من تموُّجه عدانا

لا وردىَ البضَ الملوَّن سوف يشفى وخزة الذكرى

ولا عبراتى الحرَّى الغزارْ

لا بل أسوِّر بالخناجر والمُدىَ تلك الديارْ

وأُنيمها فى غابة مسنونة الأشجار

تجرح بالسكاكين الحداد اللاسعه

بالعنف تنتزع المروج الضائعه

سأطير ، أغرس خنجراً فى باب (عكا)

وأقيم حول (القدْس) أرصفة الصواعق

أزرع الأسوار شوكا

وأدكْ (تل أبيب) دكا

سأحيط (غزة) بالقذائف ، سوف أبذر

حول (يافا) حقل ألغامٍ ونارْ .

فى الليل أشعله حرائق جُلَّنارْ

وسأفرش المدن الوديعة بالصواريخ المحبة والمدافع

الله أكبر يا عرائسُ !

يا قناطرُ !

يا شوارعْ

إنى سأبذر فيك أسلحتى وانتظر الحصادْ
وسأوقظ الرَبَوَاتِ فيكِ على براكين التحدّى والعنادْ
قسماً وأرفض أن أُبللَ أغنياتى بالمدامع

* * *

ووضعتُ بين يدىَّ خارطتى ، رأيت رُبَى مدائنها خواءْ
مخذولة الطُرُقات ، يذرع صمتها اللاشيءُ ، يسكنها الهواءْ
ليلاتها عدمٌ ، ظهيرتها ذبولْ
يمتصنى ، يقصى خطاىَ ، ودون بياراتها الظمأى يحولْ
ويحيل خارطتى نُثَاراً من طلولْ
أحجارُها لا نبض فيها ، لا عروق ، ولا دماء

حتى لهيبى يستحيل إلى انطفاءْ

وحرثتُ صخراً ، لم أجد فى الصخر زنبقة انتصارى

وجبينُ فجرى ضاع منى ، والضباب دنا وأسدل سترهُ

غَطًّى نهارى

ومضغتُ أشواك اندحارى

ساحاتها دونى ملفعة ، يعز إلى مشارفها الوصولْ

كيف الوصول ؟

والليل يفصلنا وتجرفنا السيولْ

تتساقط الأحلام مَيّتةً ، وتتكسر الحلولْ

وتخوننى الأيام

تسقط من خلال أصابعى حتى الفصولْ

كيف الوصول..؟

وتحت ظلال عينيه يصير سواد أمسيتى ظهيره

وشعرتُ أنى قد بعدتُ ، بعدتُ واحتجب اللقاءْ

يبستْ عناقيد الرجاءْ

وتمددت بينى وبين تلالها مُدُنُ البكاءْ

وعرفت سر البعد ، سرهَ التيه ، إنى قد نسيتْ

أن أنقش اسم الله فوق صخورها

وحرمتها من ضوئه ، من دفئه ،

عذراً لعطر ترابها ، وورودها ، ونهورها

أفرغتُها من سر قوّتها ، رضيتْ

لربوعها الفقر الحزينَ ، منحتُها الجدبَ المميتْ

كلا سأرجع للخريطة ،

أنثر القرآن أجنحةً على كل المزارع

حتى أرى اسم الله محفوراً على شجراتها
مستودعاً فى قلب تعريشاتها
متألقاً فى ذبذبات حنين أغنيّاتها
حتى أرى اسم الله أنداءً وخضره
وشذىً ووفْرَه
فى كل بياراتها

* * *

إنى سأكسر قيد خارطتى بأسلحتى جميعا
وردى ،
ودمعى ،
والسكاكين الحدادِ ،
وذكر ربّى

ستتشق لى ومضاتُها درباً سريعا

حتى أرانى فى فلسطينى :

نجومٌ ملء دربى

وشموعُ ميلاد ، وصحو ، خلف هُدْبى

أمشى أحررُ باسم ربى ، بالسلاحْ

بالورد ، بالدمع المضىء ، مدائنَ الدم والجراحْ

حتى تتاح لنا ، لها ، لشتات أهليها معانقة الصباحْ

وتعود خارطتى الحبيبية ،

ملك قلبى

تحت هدبى

لا يجوبُ سفوحَهَا غيرى أنا ،
غير الأغانى ، والعروبة ، والرياحْ
وأحسّ خارطتى ترفرفَ كوكباً ، فى لا نهايات المدى النائى
وَيْنبُتُ لى جَناحْ

٤ محرم ١٣٩٤هـ

٢٧ / ١ / ١٩٧٤ م

ميلاد نهر البنفسج

مليكى على كلماتىَ أَنْبِتْ جناحا
ورُشَّ على أغنياتى صباحا
وأسرجْ رياحا
ترقرق فى اللانهايات لحنَكَ أعلى وأعلى
وهَبْنى ما هو أحلى
سنا وَمضةٍ من بريق جبينكْ
ودعنى أرى كيف تَنْبُتُ تحت عيونكْ
مراعٍ جديده
ودفقاتُ عطر جديده
وغابات ظلٍ وحبٍّ جديده
ودعنى أرى كيف كيف يتمُّ انبلاج القصيده
وكيف تَهلُّ خُطَاها الوليده

* * *

يحاول لحنى أن يتدفق بين يديك
مليكى فتخبو بروقى لديك
ويبهرنى وجهُكَ الملكىُّ
ويُصمتُ شدوى انغلاقُ وعِىُّ
ويفلت منى لجام القصيدة
فواصلُها تتمطَّى دوائرْ
وأوتادها اللولبية تهرب ، تيبس بين يدىَّ المحابرْ
وأشطرها تتراكض شاردة فى الشعاب المديده
تضيع القصيده

تطير القوافى بعيداً وتنثر عبر الدُجَى شعرها المهْملا
وتضحك منى ، تطفر ، ترفض أن تنزلا

مقاطعُها تتراقص عبر المدى حلُماً مذهلا

وتقتطف الريح من هدبها سُنبلا

وتدفق - دونىَ - أشطرها جدولا

وحين ألامسها تتبدّدْ

فراشاتها فى أصابع كفىَ تَخْمُدُ ، تخمدْ

سنابلها تتجمّدْ

وأعجز عن أن أنال القصيده

أحاول أن أتصيّد شطرا

وأمسك بحرا

وأرتدُّ تُفْلت منى القوافى عرايا ، بديده

وأشعر أن الدُجَى يتمزّق حزناً علىّ

وأن كواكَبهُ تتنّهدْ

وتنهشنى حَسَراتٌ جديده

وعبر الدُجى أتحرّق ، أذوى أسىً أتبدّدْ

وأعجز عن أن ألمَّ ورود القصيده

وأبقى مبعثرةً فى الظلام شريده

يشاغلنى ضوؤك الملكىُّ ، تزوغ المقطعْ

أهيمُ مضيّعهً فى شعاب القصيدة ، عبر شوارعْ

وأضرب فى سككٍ ومزارعْ

تفاصيل وجهك مختومة بالضبابْ

وروحى مختومةٌ بالمدامع

محجبّةٌ فى سواد براقع

وقلبى اغترابْ
وبينى وبينك ينسدل الليلُ فى ألف سترٍ وبابْ
ويحجبنى عنك ألف حجاب

وتبقى القصيدةُ سورَ مدينه
ملثمة بحصونٍ حزينه

وتبقى القصيدة أسئلة وصداها
وليس لها من جوابْ

* * *

وأهمس : الله أكبرْ

ويثمر غصن السكون ، ووجه الدُجَى يتغّير

ويمطر نجمٌ ،

وفى شفتى يتفتّقُ بَيْدَرْ

ووجه القصيدة يقبل مشتعلاً، يتكسّرْ

شعاعاً ، شعاعاً ، يرطّب روحى

ويلثم كلَّ جروحى

ويغرسنى وردةً فوق مجدبةٍ من سفوحى

* * *

إذن هكذا ؟ حين أهمس باسمك

يُفتح كنز المعانى الوليده

وتنمو على شفتىَّ القصيده

خطاها الوئيده

حفيف رياح بعيده

مليكى ، وأنتَ القصيدة

وأنت جمالُ القصيده

ومن ضوء وجهك يطلع فجر القوافى العنيده

كلؤلؤة فى الظلام فريده

* * *

وتولد عندى القصيده

كمولد ڤينوس من زَبَدِ البحر طافية مثل ورده

جدائلها أشطُرٌ عائماتْ

وأهدابها من حروف ومن كلماتْ

يوسدها الليلُ أهدابَهُ ، وهواهُ ، وسُهْدَهْ

ويمنحها زَبَدُ البحر خدّهْ

يرقرق فى وزنها شفَقاً وثلوجاً وزُبْدَهْ

ويطعم أبياتها من بريق اللآلى

يصوغ اليواقيت قافيتينْ

يبعثر قوسَ سحابٍ ، يقيم دوالىْ

ويسكب برد الليالى

وزرْقةَ أمواجه فى مَدَى مقطعين
ويبعث أنشودتى عذبة الحبر بَحْرِّية الشفتينْ
مضمّخَة بشذى البرتقالِ

* * *

وتولد عندى القصيده
أراجيح رؤياً ، ودنياً جديده
يُقطّرها الله ينثر أشطرها العسليّه

ويُغْدقها نجمة تتوهجْ

ونهر بنفسج

وتعريشةً من مشاعر زُرْقٍ خفيّه

وتبزغ فى الضوء أغلى هديّه

وأحلى ،

أرقَّ ،

أحبَّ صبيّة !

فى: ١١ صفر ١٣٩٤هـ

٥ / ٣ / ١٩٧٤م

سنابل النار

ذات شـتـاء أثمـرت النار ، فـاشـتـعل الحبَ
ثلاث دوائر ، واصفرًت معه النار ، ثم أحمرًت
ثم صارت بيضاء تحرق عَيْنَىْ من يحدِّق فيها .

أرقصى فى الموقد الشتوىّ يا نارْ
فهُدْبُ الليل يثمر أدمعاً ، والبرد بتّارْ
على روحى تهبَ عواصفٌ رعناءْ

وفى قلبى ينام شتاءْ
وفوق غصون أهدابى السَّهَارَى تسقط الأمطارْ
ويلطم فكرتى الإعصارْ
وتطرق باب ذاكرتى ، عيونٌ ،
أوجهٌ ،
أخبارْ
من الماضى وتصرعنى هموم رطبة ثلجية الأستارْ

تقلّبنى جبال خواطر وبحارْ
تدبّ النار مُشْعلةً ثلوجَ دمى

يلامس دفؤها نَغَمى

يريق لهيبها صيفاً على عودى ، ويُصحى غفوة الأوتارْ.

ويحملنى جناح النارْ

لكل دوائر الحبٍّ

ثلاثتها ، وينْبُتُ لى على قلبى

جناحين ، من الحُلْم ، من التذكارْ

ولولا النار ما كانت ثمار الحبّ لولا النارْ

عرفت توهج الأهواء حول لهيبها ، فعواطفى أغوارْ

تضيعنى مسالكها الخرافيةْ

وتحملنى إلى دنيا مضيّعة ، ضبابية

لها أعمدة ، أقبيةٌ ، أسوارْ

من النيران تبدأ رحلتى
تنشقُّ لى طرقٌ
وتخطف روحىَ الأسفارْ
ففى أغصانى النشوى يكاد يسيلُ نُسغُ النارْ
وورد الحبِّ والأشعار
هو الأثمارْ
وكل هوىً أحس به
له يا ليلُ دائرةٌ ،
ولون فى لهيب النارْ
وتعكس لى حقيقتَهُ مرايا النارْ

* * *

هواى الأول الحسّىُّ ، دائرتى الصغيره

حبّ إنسان من الناس

هواه كوكبٌ فى مقلتى ، فى شَعَرى طوقٌ من الآسْ

وبسمته حقول شذىً ، وترنيمة أجراسْ

يحلّينى ، يزخرفنى ، يتوّجنى

على مملكة الوهمِ

وفى أروقة الحُلْمِ... أميره

يصغّرنى ، يحوّلنى

إلى شفةٍ ملوّنة ، إلى تنورةٍ وإلى ظفيره

حبّه صيف من الورد يغنى فى دمائى

وَجْهُهُ عصفورة تائهة عبر سمائى

واسمه سنبلةٌ فى شفتيّا
ريّشتنى فتحت قلبى شبابيك ضياءٍ
وأحالت عُمُرى بستانَ برسيم ثريّا
صيّرتْ أغنيتى زهرة ماءٍ
قذفتْ كُلَّ نجوم الليلِ فى قعر إنائى

جسّمتْ ألسنة النيران لى شخص حبيبى
أطلعتْ لى وجَههُ من شفق الذكرى
سماءً فى غلالات غروبِ
وجهُهُ أم زهرة حمراءُ ؟ أم وهج ضياءٍ ؟
وفؤادى أَمْ جناحا طائر يسبح فى ريح الجنوبِ ؟

وجهُهُ أَمْ وردة النار وعنقود شررْ

وتراتيل الهوى الأرضيّ في روحي أم مَدٌّ صورْ ؟

وبحار في دمي أم أشرعه؟

أم مواويل وتيارات شوق مترعه ؟

وصبابات وأهواء أُخَرْ ؟

وادكارات لقاءٍ في جفوني ؟ أم تهاويل سَهَرْ ؟

وشظايا لهب أَم مزرعه ؟

أم فم يبسمُ أم عطر مَطَر ؟

أَم مشاوير فصول أربعة ؟

تلعب الأهواء بي يا نار ، إني وردة في المرج صفراءْ

تؤَججها أعاصيرٌ وأنواءْ

وتقذفها على صخر يمزّقها
ويحرقها
ويمنحها شعوراً أنها تمرح فى ظلٍّ وفى مَاءْ
وتُسْقَى العطْرَ فى حمّام أشذاءْ

تَغيّر موقد النار
مع الإحساس فى قلبى ، تبدّل موقد النار
أصابت نارَهُ صفره
بلون الشكّ والأهواء والغَيْره
بلون تعطُّشى وجموح أفكارى
وما فى الحبّ من شوقٍ ، ومن صمتٍ ، ومن حَيْره

مؤرجحة كأنى قشّةٌ فى حضن إعصارِ
مضيّعة بوديان الهوى الخَطْره
وألبس معطف النارِ
وأغنيتى تضيع طريقها فى الليْلْ
يرنّحها الهوى والسيلْ
وقد تسقط فى لّجة أفكارِ
وقد تأسرها نظره

ومثلُ الحبّ ، هذى النار ، ألسنة مراوغة فلا تُلْمسْ
غمائمُ من لهيب سائلٍ ، زورقُ شوقٍ أصفر الصارى

ونهر ثائر الأمواج مجنون فلا يُحْبَسْ
وزوبعةٌ تضج وحزّ منشارِ
فيا ناريَ ، يا نارى
غرامى الجامح الأرضىّ يشبه وجهَكِ الأصفر
فلمْسُ كليهما دفءٌ
وطعم كليهما سكّرْ
وقُبْلاتُهما تجرح كالخنجر

- ٢ -

ويا ناريَ فى لجّة هذا الموقد الأصفر يا نارى اصهرينى
طهرينى وارفعينى

إننى أنفقتُ فى حبى الترابىّ سنينى
فإلى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى
وابعثينى
فى الدُجَى قبرةً لاثغةً تهفو لبيارات يافا وجنينِ

إن حبّ الأرض أطهرْ
من هوىً مرَّغَ إحساسىَ فى الطين وعَفَّرْ
فى ثرى الأهواء والحُمَّى جبينى
إن حب الأرض غابات ، وقرميدٌ ، وقمح ،
حبّها شرفة مَرْمَرْ
حبها يغسل شكى فى بحيرات يقينِ
حبَها يزرعنى زورق َشذرٍ سابحاً فى نهر كوثرْ

إن حبّ الأرض تشكيلة موسيقى ولينِ
نهرُ إيقاعٍ ، وأجراسُ حنينِ
وأنا فى مرجها عصفور بيدَرْ
حفنة من رملها نجمة فجرٍ ،
حُلمٌ ،
سلّة عنبرْ
فصداها يتكّسرْ
فى صلاتى ، فى غنائى ، فى سكونى
فى ابتهالاتِ حنينى

ورؤاها تتدثّرْ
بين أهداب عيونى
ذكرياتٍ ، ومواويلَ ، وتاريَخا بَرُودَ الظلّ أخضَرْ

أتذكرْ

أتذكرْ

كل أمجاد القرونِ

كل زيتونى ، وبيارات أحبابى ، وطينى

كل حقل فى ثراها

مرّة أعطى وجوهاً ومواعيد وأثمر

كل عطر ونسيم غمر المرج وأسكرْ

كلّ نجم من أعالى أفقه النائى تحدّرْ

يحضر العيدَ ويَسَهْرْ

أنا فى حب فلسطينى أعيش العمر عمرينْ
وأسبح فى مدارينْ
وترقص لى عرائس ماء بحرينْ

هواى لها يغيّر جوهر النارِ
تبدّل موقد النارِ
وصار اللهبُ الأصفر جمراً قانىَ الحمره
له حجم ، له شكل ، وخلف أجيجه فكره
إذا ما شئت ألمسه بكفّيا
أوزّعه هنا وهنا وأنثُرهُ
ألملمه . أبعثرُه

هنا جَمْرَهْ

هنا جمره

هنا جمره

وتشرب دفئَهُ أهدابُ عينيّا

وآخذُهُ ارتواءَ دمى المشوق ، ودفء أشعارى

وشمعى وتسابيحى ومشوارى

وحمرة ذلك الجمرِ

دمٌ يجرى

بلون الغضب النازف من جرح فلسطينِ

وحمرة ذلك الجمرِ

ورودٌ قانيات من حدائق دير ياسينِ

مغمّسة الشذى فى جرح مطعونِ

وحمرة ذلك الجمرِ

كمثل سهولنا الدامية الخَضْرِ

ومثل حقولنا المحلولةِ الشَّعْرِ

يروّيها دم الشهداء فى رحلة إصرارِ

إلى أودية الثارِ

إلى أودية الثارِ

إلى مستقبل يُفْتح للدارِ

شبابيكاً تطلّ على امتداد مروج أقمارِ

ويقصم عوسج العارِ

- ٣ -

ويا نارُ اهدمِينى
ثم صُوغِينى كِياناً ثانياً ، وابنى جبينى
واملأى من ألق الضوء شفاهى وعيونى
طهّرينى واغسلينى
واحملينى عبر آماد الدياجير احملينى
وإلى دائرتى الثالثة العليا انقلينى

إننى أصعد بالنار إلى ذروة آفاق حنينى
إننى أنبذ شكّى وفتونى
وإلى الشمس ، إلى أعلى الذُرى ،
يمتدّ جذعى وغصونى
حيث ألقى فى المدى وجه مليكى

كبياض الثلج ،

كالأنجم ،

كالفلّ ألاقيه مليكى

فى طريقى ينثر الحبُّ ثريّاتْ ،

شواطىء لا نهايات ، ويرمى لى شموسا

ومجرّاتٍ من الضوءِ ،

نُهوراً عذبة الدفءِ ، تُصَفَّى وتُنقَّى

وسماواتٍ بلا عدًّ

وأودية من الألوان والورد ،

أفسّحُ فى جنائنها وأُسْقَى

ثم أُسْقَى

من رحيق الأنجم الصيفية الطعم كؤوساً وكؤوسا

حبهُ، حب مليكى ، رحلة فى اللانهاية
وجهه يستغرق الكون ، ومن آفاقه تبدأ لى كل بدايه
حبه إغماءةٌ ، قمريّة تلثغ ، رايه
حبّه لى قمر ، ليلكة خضلى ، سماءُ
ومقاصيرُ وأعنابٌ ، وأوتار ، وماءُ
حبُّهُ خضرة مرجٍ سافرتْ عبر سماواتٍ وأكوانْ
حواشى الأفق منْ روعتها لوحة فنّانْ
وصوتُ حفيفها عطرٌ وقرآنْ
ومن فتنتها أَسْبحُ فى أعراس ألوانْ

وحبّ مليكىَ المحبوب غيّر جوهر النارْ
تبدّلَ موقدى وامتلأت شعلتُهُ من عطر أزهار
وذابت فى نقاوته من المجهولِ أسرارْ
وصارت نارُهُ بيضاء كالبرقِ
ويا ويل الذى يُلْقى
عليها نظرةً : يَعْشَى
تعود جفونه حرقاً وسُحْبَ دخانْ
بياض باهر الأمواج ليس تُطيق وهج صباحه عينانْ
وبرق يصعق الإنسانْ
وضوء يستبيح العينَ ، يُلْهبها ولا يُبْقى
لها بصراً ويسقى الروحَ ما يَسْقى
شعاع النار مدٌّ ساطع الألوانْ

غفا فى لجّه أبَدٌ ، ونام زمانْ
أصابعُه مَضَت تلمُسنى
تسقط عن ظهرىَ ثقل سلاسل الرقٌ
بياض النار يبهرنى
ويأسرنى
فأخرج من كيانى ينطوى زَمَنى
وأصعد دونما قيد يقيّدُنى
وأرقى فى الأعالى دونما بَدَنِ

هنا وطنى

هنا وطنى

هوى مَلكيِ يلملم كل أشتاتى ويجمعنى
ويرفعنى
إلى أَحْلَى
إلى أغلَى
إلى أعلَى وراء مدى لهيب النارْ
أغيب أغيبُ لا أبصر حتى النارْ
ولا أتذكّر الأشعارْ
أخوّضُ فى بريق نهارْ
ويهبط حول وعيى ، حول إحساسى بياضُ ستارْ
وأفقد عالمى ، نفسى ، شعورى
عبر غاباتٍ من الأقمار

وتخبو ، لا أراها

تنطوي ، تنوي ، تغيب النارْ

١٧ محرم ١٣٩٤هـ

٩ / ٢ / ١٩٧٤م

السماء على غابة الصبّير

الحبّ والعذاب أقبلَا
تبسّما فى ولهٍ عَذْب وذابا خَجَلاَ
يداً بيدْ
خدّاً لخدْ
الحبّ والعذاب فى فناء قلبى نَزَلاَ
طفلين قادمين من مجاهل الأبد
يوزعان فى الصباح أدمعاً وقُبَلا
وهدب مقلتيهما أمسُ وغَدْ
وعطر موجةٍ ومَدْ

* * *

الحب قال لى : صباح الخيرْ

فقلت للحبّ : صباحى أغنياتٌ ،
ضفّتا نهر ،
سماء ،
طيرْ
وقال لى العذاب محزوناً : مساء الخير
فقلت للعذاب : قلبى قُبَّراتٌ رحلتْ
وأغنياتٌ هطلتْ
وغابة يسكنها الطُحْلُب والصبّيرْ

والحب والعذابُ قالا لى : خذينا نحن توأمان
جرحان ضائعانْ
أو وَتَرا كمان
فَضَمَدِّينا بالأغانى ، دثّرينا بالقُبَلْ
وأسكنينا الأبد الضائع فى صمت المُقَلْ
والحبّ والعذابُ قالا لى :
أحبّينا فنحن نحن عصفورانْ
من غابة الضياء والأحزانْ

*

نحن شراعا مركب مضيّع ، ونحن ميلاد حياةٍ وطللْ
الأمل الطرىُّ فى أكفّنا أكفان
والحزن تفّاح وجرّتا عَسَلْ

والشعر في شفاهنا نهرانْ
عنوبة الملاك فينا ، ولنا شراسةُ الشيطانْ
ونحن قبر وصباح ، مرثياتٌ وغَزَلْ
ووجهنا تموز تارة ،
وتارةً نيسان

* * *

الحبّ والعذاب سَجّانانْ
سجنهما حولي جنّتانْ
سلاسلي أساورٌ وطوقُ ورد أحمرِ
وباب سجني شرفةٌ مُطلّة على دُنًى وأعصرِ

والحبَ والعذاب ريّا مطر

سَكْرانُ من عطرهما المكان

والحبّ والعذاب ترتيلٌ ، وموج أبحرِ

وظلّ سنديانْ

وبسمة فى أعينٍ حزينة ، وآيتا قرآنْ

والحب والعذابُ شُبَاكَانْ

وخضرتا بستانْ

* * *

الحبّ والعذاب أمواج وزورقانِ

في نَهَرٍ ناءٍ بلا شطآنِ

هما تواريخي ، وميلادي ، وعمري الثاني

وعطر أيامي ومِهْرجاني

وجهاهما الحلوان رحّلاني

إلى بلاد الشعر والأغاني

* * *

والحبّ والعذاب شتّتانى
فى غُرَف الرياح أسكنانى
وفى دروب الجرح والدموع ضيّعانى
للحزنِ أسلمانى
لأغنياتٍ رطبة عارية الجدرانِ
يسكن فى أحرفها الشتاءْ
وتصخب الرياح والأهواء

الحبّ والعذاب دفترانِ

أرسم في صمتهما أحزاني

والحبّ والعذابْ

زنزانة ليس لها من بابْ

وصفحتا كتابْ

ممحوّتانِ

والحبّ والعذاب دمعتانِ

ووردتانِ

*

*   *

الحبّ والعذاب قد باعانى

وعودى اشترانى

قطّرنى قصيدة افتتانِ

صيّرنى هنيهةً فى عُمُرِ الأغانى

وكوكباً مجرَّحاً أرسانى

أشعلنى ترتيلةً ، وجُرْح شمعدانِ

* * *

يا وجهَهُ ،

يا رحلتى ،

يا عَتْمة الطريقْ

يا نجمة فوق جبينى يا شراعَ جفنىَ الغريقْ

يا شفق الجرح ، ويا ضبابةَ البريق

ملاكى الحارس ؟ أم شيطانى ؟

يا وجهه النائى عدوّ أنتَ أم صديقْ ؟

تورقُ فى كيانى

موتاً ، ونهراً مُشْمس الرحيقْ
يا غَسَقى ، يا نكهة الرمّانِ
يا جُرْحىَ الوريق
تسلمُ يا صومعة الأغانى

فى ٨ صفر ١٣٩٤هـ

٢ / ٣ / ١٩٧٤

تمتمات في ساحة الإعدام

تحت قرار الإعدام فى الساحة اجتمعنا
اثنينِ عيناهما بركتا أنجمٍ ودوالِ
وشمس حزن تشرب من جرح برتقالِ
تسأل ماذا نحن أضعنا

بالموت ، والحبّ ، والعيون الغرقى الأسيره
نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
نحن حرثنا ، نحن زرعنا
سنابل الموت ، واتخذنا الأسى خميره
لخبزنا ، والسهاد فى دمعنا جزيره
وفى مزاد الرياح بعنا

خضرة أعمارنا ، اشترينا ركام أحزاننا الصغيرة

ونحن ضُعْنا

ذات ظهيره

وردة موتٍ ، فى عطرها نحن قد رتعنا

ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

* * *

كنتَ الفدائِّىّ أنت ، الفدائية القانته

أنا ، وكنا مبتسمينِ

يجمعنا الحبّ والموت والحلم ، نحن كنا

منتصرينِ

عيوننا الصامته

صيّرها الحبل حول أعناقنا لافته

تعيد تاريخ كل طفلٍ ،

أطعمه القاتلون للموت ، ذات صيفٍ

تكشف أخبار كل مقتولةٍ ، وجدائلها نابته

فى الدم والوحل ، مقلتاها صلاةُ خَوْفٍ

وحول كتفى

ذراعُكَ الحانيه

وفوق أحزاننا ومنانا قفلٌ وبَسْمَهْ

ونجمة قانيه

وملء أهدابنا طقوسٌ لدمعةٍ ، لاحتضار كِلْمَهْ

* * *

نمرع فى جبهة المشنقه

طفلين يشتعلان خِصْبًا فى جدب زوبعة مُحْرقه

ونرتقى سلّم المشنقه

وفوق ذروتها تنحنى يا حبيبى

تزرع فى شفتى موقفاً ، فكرةً ، وشُعْله

والموتُ قُبْله

تمنحنا ثلجَها المُدَمَّى تلُّ أبيبِ

واذ تبسمْتَ يا حبيبى

تفتحت وردةُ المشنقه

تموّجت ، أورقت فى السنا مثل زنبقه

وأرسلت حولنا شعرها فى جدائل سودٍ
صَبَّتْ علينا صيف الأغانى وذوّقتنا
نكهة موتٍ مختبىء فى نهار عيدٍ
وأرجحتنا، وأرجحتنا
وتحت وجه الرَّدَى مع الصيف وحَّدتنا
وصيرّتْنَا
حلماً له هيكل ، له شاطىء ، ومعنى

*
* *

تشنقنا أغنيه

ونقطف الشمع والأمانى من شجر المرثيه

يصلبنا الليلُ والَمتَاهْ

ينتزع الهُدْبَ والشفاهْ

يسمر الحلم عبر أحداقنا أوديه

ممتدة فى أغوار تسبيحةٍ وصلاهْ

نعرف فى الضوء كيف تنتصر الكبرياء على المشنقه

وكيف يَضْحَى المقتول سوسنةً وحياه

وكيف يُعْطى الخلودَ ،

صمتُ العناد فى الشفة المُطْبَقَه

*
* *

السفر فى المرايا الدامية

فى ٢٦ حزيران ١٩٧٤ تحررت
مدينـة القنيطـرة مـن الاحتلال
الصهيونى...

قال القمرْ
حبيبتى قد رجعت من السَّفرْ
حبيبتِى القنيطره
صفحة مرآةِ دمٍ مكسَّره

فى قعرها رسومُ قَتلى عربٍ مبعثره

فى عمقها تَدْمَى وتقطرُ الصُّوَرْ

قال القمر

حبيبتى قد وصلت عائدةً من السفرْ

أرخيتُ فوق كِتْفها جدائلى فأجفلتْ

فرشتُ ضوئى تحت مَسْرى خطوها فأجفلتْ

لثمْتُ مجرى دمها فأجفلتْ

تَغَيَّرتْ ألوانُ عينيها ومن ملح الرياح اكتحلَتْ

حبيبتى قد قُتلتْ

قد قُتلتْ

مطعونة تحت مساقط النظر

ومن سماء مقلتيها يتناثر المَطَرْ
وفى الصخور ، والدوالى ، والتعاريش دماءٌ ،
وجنائزٌ أُخَرْ

حبيبتى القنيطره
راجعة من السّفَرْ
إيقاع تذكاراتها : حرائقٌ ، دمٌ ، حُفَرْ
أرجوحة للموت والريح ووجه مجزره
وفى موانى مقلتيها سُفنٌ غاربةٌ مُحْتَضَره
حبيبتى ترفض أن ألثمها ، أطلبُ من غَمّازتيها المغفره

*
* *

قال القمر

حبيبتى بعد سنين غربة قد رَجَعَتْ من السَّفَرْ

عائدة من رحلة فى قعر آلاف المرايا الماحية

راجعة من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاويه

حيث تقاطع الخطوط الداميه

وحيث يمّحى كيان المنحنى ، يضيع وجه الزاوية

ممحّوة حبيبتى خطوطُها

ضائعة خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطُها

معكوسة صورتُها على العيون المجدبات الخاويه

وهميّة حتى ورود شعرها ،

وهمية أمشاطُها ،

وهمية قروطُها

أكذوبة المرآة فى مقلتها الولهى وعقم الهاويه

مصلوبةٌ حبيبتى على جذوع السنوات العاريه

* * *

قال القمر

ووجهه الحزين رعشةٌ وظلٌّ فى نَهَرْ

مسبيّة حبيبتى ، مخنوقة ، مهدّمه

خدودها شاحبةٌ يجرحها حتى مرور الكلمه

أذرعها حقائب خاويةٌ ، راح بما فيها اللصوص القَتَله

لم يبق من فضّتها ، لؤلؤها إلا جلود رثّة مهلهله
سيورها مثلّمه
أقفالها تدمى ، تصيحُ الريحُ فيها ،
يغرُسُ الخرابُ فيها أَنْمُلَهْ
حبيبتى أكتافها مهشّمه
أسوارها مقتحمه
ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحْ
والموت والرياحْ
قبابها كواكب مرتحله
بيوتها فم الجراح المُشْعله
أشجارها منزوعة الوَرَقْ

فارغة الحَدَقْ

من دمعها ، من دمها ، أهدابُها مكحّله

تُسْبل من فاكهة الدماء والحمّى غُصوناً مقله

ولم تذق حبيبتى منذ سنينٍ وشوشاتِ سنبله

كلاَّ ولم تلثُم دواليْها سوى أنياب صاروخٍ وعضٍّ قنبله

* * *

مرميّة حبيبتى القنيطره

على مسامير سرير خربٍ مشتعل الغطاءْ

مروجها مقابر الغناءْ

صيّرها حقد اليهود غابةً من مِزَقٍ ، حرائق ، أشلاء

لكنّما جراحها معطّره
يطلع منها قَمرٌ مقاتلٌ ،
تخفق فيها رايةٌ منتصره

* * *

حبيبتى القنيطره
عاجزةٌ أدوية الطبيب عن شفائها
اسقوا صداها جرعة من بَرَدَى ، رشّوا على شتائها
صيف الجراح المقمره
فطعنة الخراب فى رخام صدرها
تَشْفَى بأن تنام فوق خدّها وشعرها
سماء سوريّا ، وتحنو الشجره
والقبّره

على شطوط جفنها المحموم ، إن المقبّره
ستستحيل نجمة مؤتلقه
وموجة مرقرقه
تعطى أباريق الأغانى للشفاه المُطْبقَه
وتمسح الدموع عن سوسنةٍ فى الأعين المغرورقة
توسّدُ المدينةَ الطافية المروجِ فى بحر الدماء المحرقة
تهدى إليها قُبْلة وزنبقه

* * *

قُنَيْطره
قنيطره
سلمتِ يا حبيبة الجولانْ
وعشت يا غدائر النجوم ، يا مراتع القطعان

يا نهر كهرمان
يا صلواتِ المغفره
يا خَرْزَتَىْ مسبحةٍ مقطوعةٍ
يا آيةً مبتورة فى شفتى مرتِّل القرآن

شحوب خدّيك ستسقيه الشفاهُ الخيرّه
ومن جديدٍ فى الرُّبى ستشمخ الجدرانْ
ويصعَدُ الأذانْ

*
* *

قنيطره !
قنطيره !
لتنبت الأنيابُ فى فَكَّيْكِ ولتطلع قرونٌ فظة مؤتّره
وهيئى مخالباً ومقبرة
تصطادُ إسرائيلَ . إن الغد نُسْغٌ صاعد فى شجره

صور وتهويمات

أمام أضواء المرور

اشتعل الضوء الأحمر
والحلم تكّسر
وتبعثر

يا حمرةُ ، يا حسرةَ وردة صيف جوريّه
راعشة تحت أعاصير ثلوج قطبيّه
يا لهباً منبعثاً من خلجان
محترقاتٍ خلف الذكرى فى دوّامة ألوانْ
فى دنياً منسيّه

غسلتْ بالأدمع أغنيتينْ

قطعت وَتَرَيْن

حمرة ! يا عدماً مختبئاً فى زوبعةٍ تموزيّه
أَسلَمتِ الورد لعصف الريح الشرقيّه
وأباحت أشرعة النهرينْ
وامتصّتْ ياقوتَ الشفَتْينْ

يا نقطة وقفٍ فى خاتمة الكلمات النيسانّيه

تقطع ما نتمنّى أن نسمع ما بعدَهْ
لا تعطينا العطر ولكن تفجعنا بحطام الورده

تنزعها منّا من حرقتنا الروحيّه
تنفيها من غابات الذكرى المربدّه
تنهار وتحترق الورده
يا حمرةُ يا لهباً شرهاً حرّق حنجرة القمريّه
أشعل شفة المنشد فى الفجر
وقصّ جناح الأغنيّه

يا شفة تصرخ : لا
سمّرت العابر فوق التلّ وكسّرتِ الأمَلاَ
قطَعاً ، قطعاً ، يا رشّة نَهْيٍ دمويّه

يا قاتلة الزهرة ، يا عوسجة الطرقات البريّه
يا صيفاً قد رَحَلاَ
يسحب أشلاء صباهُ تحت أعاصير تشرينيّه
يا عقلاً مبحوح الفكرة يؤوى شَلَلاَ
خرّب موجاتٍ وحقولاً أسطوريّه
غيّب « إلدورادو » ورباها الذهبيّه
عن عينى وطواها فى أرض سرّيّه
أسكنها زُحَلاَ
يا فرحة من يقدر أن يَصِلاَ

* * *

اشتعل الضوء الأصفر
الخيط الناحل بين الفجر وظلمة ليلٍ أدبر
زقزقة العصفور الأولى
فوق البرسيم الناعم يحلم ، ينشر عطراً مجهولا
فوق النسماتِ الراقصة الخُصُلات الرطبة محمولا
يجتاح جبالاً وسهولا

ويحبّ اللهَ ويَسْهر

ويوزّع سُكْراً للعشّاق وشوقاً عذباً وذهولا

وعلى عُشَش الشعراءِ يرشّ العنبر

ويُريق دوارق من عَسَلٍ يسقيها بِيداً وحقولا

اشتعل الضوء الأصفر

فى لون سنابل شقراءٍ نضجت فى حضن البيدر

يا صمتاً بين حبيبينِ

يا أشواقاً ساكتةً تسكن فى أحداق العينين

يا صُفْرةُ يا لونَ المرمرْ

المرج الضاحكُ من نشوته قد كَبَّرْ
وجبين الغيمة قد أمطر
يا مفرق دربينْ
يا ودياناً تسكب شَفَقاً مشتعلاً ما بين سماءينْ
يا تمهيداً لتحقق حلْم من فضّه

يا حلْم حدائق خضراءٍ
في خاطر نبع مياه ولهى مرفضّه

يا ورداً أصفرَ في غابة حزن وضبابْ
يا سوسنة حالمة قد نامت في صفحاتِ كتابْ
يا لحظةَ صمتِ في غنوه

يا فاصل تجريح وعتابْ
ما بين حبيبين اختصما أحقاباً تتلوها أحقابْ

يا بُشْرى بخروج المجروح من الهوّه
يا قمراً يدخل من كوّه
فى زنزانة جندىٍّ ضائعة الأبواب
يا رائحة المطر الحلوه
يسقط فوق غبارٍ وترابْ
يا منبت أورادٍ شُقْرٍ وشَذَى أعناب

اشتعل الضوء الأصفر

معبرُنا المرموقُ ووادينا الأشقر
بين الصمت وبين النغمه
ما بين النظرة والكلْمة
فاصل أسرارٍ وَتَجَلٍّ بين الضوء وبين العتمه
فى ليل محبٍّ ضيّع مسلكه فى غابة بَسْمه
يا غصناً مبتوراً أثمر
يا دهليزاً « ليثياً » أخصب فى الظلماء وأقمر
يا وله العاشق يحلم فى الظلمه
ويحسّ الليلَ المنسدل الأستار سواقىَ كوثر
وعماد مدائنِ مرمر

يا ضوئى الأصفر ، يا تقبيلَ النسمه
لخدود الساهر ، يا زنبقة الرحمه
يا طوق نجومٍ ، يا تعريشة عنبَرْ
يا مغرب ليلتنا ، يا آخر نجمه

* * *

واشتعل الضوء الأخضر
وأشار الحُلْمُ إلينا ينقلُنَا لبلاد السكَّر
يا ضوئى الأخضر ، يا نجوايَ ، ويا سَهَرى
يا وجه مليكى فى الأبعادْ
تتقطع من شغفٍ بسنا عينيه أوتار الاعواد

يختلط الموتُ مع الميلادْ
يتكسّر من فرح اللقيا وجهُ القمرِ
مِيدِى يا ظلمةُ واندثرى
تتألق آلاف الجُزُرِ
تتراقص شطآن ووهادْ
تتهاوى الأزمنةُ المبهورةُ منتشراتٍ فى أعيادْ
أعياد ، أعياد ، أعيادْ
يا وجه حبيبى فى الأبعادْ

يا ضوئى الأخضر ، يا مرجاً سكرانَ
من الألق المسكوبْ

يا قطرة أشواقٍ حرَّى فى قعر الكوبْ
لونُ الماضى سيِّجَهُ التذكارُ
آفاقٌ ولهى خضِلاتٌ ، أشواق تحلُمُ ، أقمارُ
ومهاد سنابل شقراءٍ فى حضن سهوبْ
والبسمة تنبتُ والهة فوق الوجه المحبوبْ
وقصائد حبٍّ ننظمها ، ونهور حليب وبهارُ
وأغانٍ سوف نغنّيها ، وترنّحُ أشرعةٍ ، وغروبْ

وتوابلُ ،

عطرٌ ،

أسرارُ

وَغَدٌ عربيّ تغرف منه الأشعار
منبثق من بيّاراتِ الوطن المسلوب
يا حيّتْ ذكراهُ ، حيّتْها الأمطارُ

وجه حبيبى

يطلع عذباً منْ شُرَف التذكار الغَضّةْ
من ساحل جُزْرٍ مسبوكات من فضّه
واسم حبيبى
تسكنُ أحرفَهُ أمطارُ
تتلوهُ بيدٌ وبحارُ

يا ضوئى الأخضر !

يا طعم صباحٍ فى مكّةَ خضلان مُعطَّرْ

يا ذكر اللهِ ترتلُهُ فى الليل الأوتارُ

وتغنّيه الريحُ المبهورة والنارُ

من ذاق عذوبتَهُ يسكَرْ

يسهرْ

يسهرْ

* * *

يا ضوئى الأخضرَ يا لَهبُ
يا شارع ذاكرتى فى ساحتِهِ المزهّوةِ ينتصبُ
تمثالٌ لاسم حبيبى
يتسلقُ أحرفَهُ اللبلابْ
ويموج على تعريشته عطرٌ وضبابْ
ويخالطُهُ ذَهَبُ
ينبثق الوردُ الأحمر من أحرفِهِ لون غروبِ
يعطيه سكّرَهُ القصَبُ

تترقرقُ فى اسم حبيبى نسماتٌ وترطّبُهُ سُحُبُ

وورود نقاءٍ وشحوبِ

ترقصُ تنفض أسرار طراوتها ملء اسم حبيبى

يا ضوئى الأخضر يا عنبُ

قطِّرْ مطرا

جَمّعْ زهرا

لملم صورا

لحروف اسم حبيبى

واقطف من شاطئه كَرَزاً ، واحصد ذكرا

ما بين الأحمر والأصفر والأخضرْ
تضحكُ يا قلبى ، تبكى ، تتذكّرْ

وتسيرُ تسيرُ إلى أين
المسعى والظلمةُ ممدوده
والأرض المنشوده
ومروج الفُستق والعنبر
ونهور الكوثر
خلف ضباب البحر بعيده
وغدى طرقاتٌ مسدوده
ودِْيانى خاويةٌ ، تَصْفرُ فيها الريحُ

ويتمتم سِرٌّ مجروحُ

وجبالى خنجر

ومروجى أشعارٌ تبكى فى صمت الدفتر

وفؤادى تصرعه أوتارٌ ، تحفر فيه مفاتيح

*   *   *

يا دفئى ، يا مطرى المسحورْ

يا تعريشاتٍ من بلّور

يا وجه حبيبى

يا وجه حبيبى

١٨ من ذى الحجة ١٣٩٣هـ

١١ / ١ / ١٩٧٤م

هوامش وتعقيبات

ص ٢٥ - حول وزن (مستفعلاتن مستفعلاتن)

تقتضى الأمانة العلمية أن أقول إننا كنا نغنى فى طفولتنا نشيداً من نظم الرصافى أوله :

سمعتُ شعراً للعندليبِ

تلاه فوق الغصن الرطيبِ

إذ قال نفسى نفسى الرفيعه

لم تَهْوَ إلاّ حُسنَ الطبيعه

وفيما بعد قام على صفحات المجلاّت العراقية جدال حول وزن هذه الأشطر لأنها - كما قالوا - تخرج على تفعيلات (مخلعّ البسيط) وقد اقترح بعضهم تقطيعها على (مستفعلاتن مستفعلاتن) وأذكر أننى ناقشت هذا الاقتراح بين تلاميذى فى جامعة البصرة وأخبرتهم أن «مستفعلاتن» المصابة بعلّة زيادة لا ترد لدى الخليل فى حشو البيت مطلقاً فذلك التقطيع غلط مخالف لنهج العروضيين. ويؤسفنى أننى لا أتذكر أسماء الأدباء الذين ساهموا فى تلك المناقشة العلمية الممتعة.

وبعد فأظننى قد استفدت من تفعيلات الرصافى فى استخراج هذا البحر الجديد من بحور الشعر الحر إذ جعلت «مستفعلاتن» تفعيلة كاملة فى بحر صافٍ جديد نوسّع فيه دائرة البحور المستعملة فى الشعر الحرّ، وضربه معاً، وليس يخفى أن هذا سائغ فى الشعر الحرّ، وستكون هذه أول حالة فى تاريخ العروض العربى ترد فيها تفعيلة مصابة بعلة زيارة فى حشو البيت غير مقبول فى شعر الشطرين الذى يتمسك فيه الشعراء والأدباء بعروض الخليل الدقيق الشامل للبحور كلها ما كان منها مستعملاً أو مهملاً.

والحقيقة أن الرصافى رحمة الله قد فتح لنا باباً جميلاً بالخروج الذى وقع فيه وهو يستعمل وزن (مخلع البسيط): « مستفعلن فاعلن فعولن ». وأني لأقول : لعله ليس خروجاً ؟ لعل وزن (مخلعّ البسيط) : «مستفعلن فاعلن فعولن». وإنى لأقول : لعله ليس خروجاً ! لعل الرصافى تعمده لأن له وجهه نظر معينة فى وزن مخلع البسيط ؟ ولكن المؤسف أنه لم يتناول هذه المسألة فى كتابه المدرسى « الأدب والرفيع » الذى عرض فيه عروض الخليل عرضاً مختصراً وكنت أؤمل أن يقف ويقطّع نشيد « سمعت شعراً » ويخبرنا نماذا زاد فيه حرفاً على مخلع البسيط ؟ أكان ذلك إحداثاً لتجديد فى الوزن ؟ أم هو وقوع فى الخطأ ؟ ولعل أصدقاء الشاعر، مثل الأديب الأستاذ مصطفى على ، أعزه الله ، يستطيعون أن يفيدونا بشىء فى هذه المسألة الدقيقة، إذ يكون الشاعر قد تحدث إليهم بشىء حول الموضوع فينشرونه خدمة للبحث العلمى.

ولكن الذى ينبغى أن أنبه إليه أن الرصافى لم يلتزم الحرف الزائد فى الأشطر كلها عبر قصيدته المشار إليها وإنما عاد إلى وزن مخلع البسيط أحياناً كما فى قوله فى مواضع مختلفة منها:

فــالعــيش عنـدى فــوق الغــصــون
لا فـى قــصــور ولا حــصــون

أطيــر فــيــهــا من فــرط وجــدى
مــن غــصــن ورد لــغــصــن ورد

يـا قــوم إنـى خـلـقـت حــرا
لـم أهـو إلا الـفـضـا مـقـرًا

فــإن أدرتـم أن تـنـطـقــونـى
فــأطـلـقــونـى فأطلقونى

ففى هذه الأبيات ورد وزن المخلع فى خمسة أشطر كما تشير الخطوط التى وضعتها تحت التفعيلة الثانية «مفاعلاتن» المقابلة للمقطع « علن فعولن » لدى الخليل، وهذا قد يثبت أن الرصافى لم يتعمد الخروج على تفعيلات الخليل وإنما ورد ذلك عرضاً وهو فى وهج الحالة الشعرية، كما حدث لى وأنا أصوغ قصيدتى «زنابق صوفية للرسول».

ولا بد لى أشير إلى أن الحرف الذى زاده الرصافى على مخلع البسيط قد وقع فى التفعيلة الثانية من الأصل الخليلىّ « مستفعلاتن مفاعلاتن » المساوية للتفعيلات « مستفعلاتن » ونحن لا نلتزم بهذا فى الشعر الحر، لأن التفعيلة المذكورة يمكن أن تُخْبن (مفاعلاتن) أو تطوى (مفتعلاتن)حيثما وقعت فى القصيدة الحرة، كما يمكن أن تبقى سالمة من الخَبْنِ والطى عندما يشاء الشاعر وفق قواعد (البسيط).

ص ٣٥ - النهاوند

أحد مقامات الموسيقى العربية الرائعة الجمال وأنا مغرمة به ولذلك يرد ذكره فى شعر هذه المرحلة من حياتى.

ص ٤٨ - الطفل إسماعيل.

إشارة إلى النبى إسماعيل إذ حمله أبوه النبى إبراهيم (عليهما السلام) مع أمه السيدة هاجر وأنزلهما عند البيت الحرام فى مكة وكانت إذ ذاك مجدبة لا ماء فيها ولا سكان حولها. وسرعان ما ترك إبراهيم النبى زوجته وطفله وانصرف عائداً إلى فلسطين.

وتصوّر قصيدتى (الماء والبارود) بقية القصّة كما وردت فى الشروح الإسلامية، ومنها بكاء النبى الطفل إسماعيل من العطش وركض أمه الوالهة سبع مرات بين مَرتَفَعيْ الصفا والمروة باكية، داعية إلى الله أن يسقى طفلها. ولذلك سُنّ السعى بين الصفا والمروة وجعل من شعائر الحج ليتذكر الساعى عذاب هاجر وكيف استجاب الله الرحمن الرحيم لدعائها وفجّر ماء زمزم

رياً للنبى الطفل الظمآن وللحجّاج كلّهم من بعده.

ص ٨٦ - المجدلية

هى مريم المجدلية التى ورد ذكرها فى الإنجيل، وكانت فى أول حياتها امرأة خاطئة وقد تجمّع الناس ليرموها بالأحجار، فردعهم المسيح عليه السلام قائلاً : « من كان منكم بلا خطيئة فيلرمها بحجر » وقد كانت كلمته هذه عميقة الأثر فسرعان ما انتبه كل من حمل حجراً إلى أن له خطايا وذنوباً تمنعه من رجم المجدلية.

وقد أدّى هذا الموقف من الرسول النبيّ عيسى بن مريم إلى أن المجدلية تابت توبة عميقة عن خطاياها وأوزارها وزهدت حتى أصبحت قديسة ومتصوفة، وأرجو أن يكون واضحاً أننى فى قصيدتى «زنابق صوفية للرسول» إنما أشير إلى المجدلية القديسة فى عطشها إلى الله سبحانه، بعد توبتها، أما المرأة الخاطئة فلا وجود لها بين صور قصيدتى.

ص ٩٥ - دكان القرائين الصغيرة

اعترض بعض الأدباء فى مصر على أننى جمعتُ لفظ «قرآن» قائلين إنه مثل كلمة «رغد» لا يجمع لأن القرآن واحد ولا يصحّ أن نجعله متعدداً.

والجواب على هذا شيئان: (الأول) أننا فى العراق نستعمل كلمة « قرائين » فهى لفظة دارجة عندنا تماماً ونحن مسلمون ولا يُطعن فى إسلامنا. و (الثانى) أن لفظة « قرائين » لا تعنى أن كتاب الله متعدّد وإنما تشير إلى نُسَخ القرآن كقولنا (مصحف ومصاحف) وهذا يجعل الاعتراض غير وارد أساساً.

ص ٩٧ - مندلى

المقصود بكلمة « مندلى » أن تكون اسماً للدكان تباع فيه القرائين الصغيرة كما نقول «دكان بغداد » مثلاً .

وأصل هذه الكلمة أنها اسم لمدينة عراقية جميلة من مدن لواء بعقوبا، تنبت الرمان والبرتقال وسواها من الفواكه. وكانت (مندلى) مليئة بالحياة عندما كان يجرى فيها نهر ينبع من إيران، وفجأة حولت الحكومة الإيرانية مجرى النهر فيبست المدينة الجميلة الخضراء وماتت بساتينها الريانة المحمّلة بالفاكهة وجفّت سواقيها وتشققت أرضها من العطش، وهجرها سكانها. وقد آلمنى هذا أشد الإيلام فى حينه، حتى أننى كتبت قصّة عن المأساة لم أنشرها حتى الآن. وقد أصبحت كلمة (مندلى) فى حياتى مثل كلمة (يوتوبيا) وبقيت أقول إن نهراً ما ليس ملكاً لأية دولة من الدول لأنه عطاء الله للوجود والبشرية وليس من حق أحد أن يحول مجراه أو يحتكر ماءه ويحرم المدن الأخرى والبشر فيها من الحياة والخضرة. إن علينا أن نترك النهر حُراً يجرى كما جرى دائماً يوزع الارتواء والبساتين والثراء والألوان على الوجود. ومهما يكن من أمر فإننى حين أردت أن أطلق اسماً على الدكان الذى تباع فيه القرائين الصغيرة، انبعثت المدينة الحبيبة « مندلى » فى ذهنى وأعارتنى اسمها الجميل، وقد وجدت فى ذلك فرصة أعبرّ فيها عن حبى لهذه المدينة المفقودة، لأن دكان القرائين فى حلمى ضاع كما ضاعت مندلى، وسافر الحبيب دون أن أستطيع أن أهديه قرآناً يحفظه كما تمنّيت.

ص ١٣١ - لفظ مليكى

كلما وردت كلمة « مليكى » أو « ملكى » فى قصائد هذه الفترة من حياتى، فإننا أريد بها الله تعالى مالك الملك وملك الملوك، وهو اسم أطلقه الخالق على نفسه فى القرآن فهو أحد أسمائه الحسنى كما فى قوله:

« عند مليك مقتدر »

« هو الله الذى لا إله إلا هو الملك»

وسوى ذلك. وأحياناً أطلق على الله سبحانه لفظ « حبيبى » كما فى قصيدة « زنابق صوفية

للرسول ». والواقع أننى أحاول أن أتحاشى لفظ « حبيبى » لأنه اسم أطلقه فى أغلب الأحيان على حبيب بشرىّ كما فى (ويبقى لنا البحر) و (دكان القرائين الصغيرة) وسواهما، فى حين أن الملك الوحيد الذى أتغنى به هو الله العلىّ القدير.

ص ١٨٨ - حول إعراب السنين

تساءل غير قليل من الأدباء والقراء عن إعراب «السنين» فى شعرى منذ مجموعتى الشعرية الأولى (١٩٤٧) حتى اليوم. وتوهم الذى لا يعرفون من النحو إلا القليل الشائع أننى أخطىء حين أثبت نون (سنين) فى حالة الإضافة، ولهؤلاء أكتب هذا الهامش. فالواقع المعروف لكل متعمق فى دراسة نحونا العربى أن (السنين وبابه) يُعْرَبُ إعرابَيْن أحدهما إعراب جمع المذكر السالم وهو الرفع بالواو والنون، والنصب والجر بالياء والنون، وحذف النون عند الإضافة وانتفاء التنوين. وهذا هوالإعراب الشائع الدارج وأنا لا أحبه ولا أستعمله. والإعراب الآخر إعراب كلمة (حين) التى تتغير ياؤها إلى واو، وتبقى نونها ثابتة عند الإضافة لأنها جزء من الكلمة لا ينفصل عنها! ويكون إعرابها بالحركات رفعاً ونصباً وجراً وتنويناً. ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلّم:

« اللهم اجعلها عليهم سنيناً

كسنينِ يوسف. »

وفيه نَوَّنَ السنين كما يُنوّن الاسم الصحيحِ وجرّها بالكسرة وأثبت نونها عند الإضافة. وهناك شواهد أخرى على هذا الإعراب أشهرها قول الشاعر:

دعانىَ من نجدٍ فإن سنينَهُ

لعبن بنا شيباً وشيَّبْنَنَا مُرْدا

والواقع أننى أرفض أن أقول (السنون) فى حالة الرفع وقد لاحظت أن هذه الكلمة لم ترد

فى القرآن الكريم مطلقاً وإنما وردت « السنين » منصوبة ومجرورة فحسب، وقد زادتنى هذه الملاحظة نفوراً من «السنون». ومهما يكن من أمر فقد عنَّ لى أن أوضح موقفى من إعراب السنين بعد أن طال تساؤل القرّاء عنه منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم.

ص ٢٠١ - إلدورادو Eldorado

عنوان قصيدة قصيرة للشاعر الأمريكى إدغر آلان پو Poe يبحث فيها الفارس الشجاع، طوال حياته حتى يشيب ، عن مدينة الأحلام فلا يجدها، و (إلدورادو) هى المدينة المنشودة.

ص ٢٠٦ - حول « ليثيا»

«ليثيا» نسبة نهر الليثى Lythe بكسر اللام فى الأساطير الإغريقية، وهو نهر النسيان الذى يشرب منه الموتى فينسون حياتهم الدنيا. وهذا النهر فرع من فروع نهر ستكس Styx الكبير الذى يجرى فى الجحيم ويتصف بأن ماءه أسود. وبأنه يجرى بقوة رهيبة جارفة، ولكنه صامت صمت القبور، بارد برودة الثلج.

نازك الملائكة

بغداد فى ٢٣/ ٧/ ١٩٧٧م

المحتويات

نـازك صـادق الـمـلائـكـة

- ولدت فى 23 أغسطس عام 1923 ببغداد بالعراق.
- حصلت على درجة الليسانس فى الآداب قسم اللغة العربية عام 1944 بمرتبة الامتياز من دار المعلمين.
- مـاجـسـتـيـر فى الأدب المـقـارن من جـاجـامـعـة (ماديسن/وسكنسن) الأمريكية عام 1956.
- درّست في كلية التربية بجامعة بغداد، ثم بجامعة البصرة لمدة أربعة أعوام ثم بجامعة الكويت لمدة اثنى عشر عاماً.
- بدأت نظم الشعر بالعامية العراقية قبل سن العاشرة ثم نظمت أول قصيدة بالعربية الفصحى فى العاشرة.
- كانت أمها شـاعرة مجيـدة وكانت تنشـر قصائدها باسم (ام نزار).
- تجيد الانجليزية والفرنسية واللاتينية التي كتبت بها.

- تجيد العزف على آلة العود التي درستها لمدة ست سنوات في معهد الفنون الجميلة.

- تأثرت الى حد كبير بشعر محمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه الذى ألفت عنه كتاباً فى النقد الأدبى صدر فى بيروت باسم «الصومعة والشرفة الحمراء».

من أعمالها الشعرية :

- عاشقة الليل - بغداد 1947/ شظايا ورماد - بغداد 1949 / قرارة الموجة - بيروت 1957 / شجرة القمر - بيروت 1968 / للصلاة والثورة - بيروت 1973 .

ومن أعمالها النثرية :

- قضايا الشعر المعاصر - بيروت 1962 / التجزيئية فى المجتمع العربى - بيروت 1972 / الشمس التي وراء القمة - القاهرة 1997.

صدر من هذه السلسلة

1 - عيون الغرباء .... فتحي غانم
2 - السرداب رقم 2 .... يوسف الصائغ
3 - حكايات للأمير .... يحيى الطاهر عبد الله
4 - مجنون الورد .... محمد شكري
5 - نجمة .... كاتب ياسين
6 - نهر المجرة .... عبد الوهاب البياتي
7 - السد .... محمود المسعدي
8 - بناية ماتيلد .... حسن داوود
9 - سرير لعزلة السنبلة .... محمد الأشعري
10 - حجر الضحك .... هدى بركات
11 - سأهبك غزالة .... مالك حداد
12 - الخماسين .... غالب هلسا
13 - حزن في ضوء القمر .... محمد الماغوط
14 - مختارات .... وديع سعادة
15 - سباق المسافات الطويلة .... عبد الرحمن منيف

رقم الايداع : ٩٨/١٦٥١٢

شركة الأمل للطباعة والنشر

يُغيرِّ ألوانه البحرُ

منذ الإصدار الأول لهذه السلسة ، ونحن نبحث فى كيفية تقديم شىء من عملها الرائد الى أصدقائنا من القراء ، ولكن السيدة الكبيرة فاجأتنا بمدارتها الكريمة ، التى ملأتنا امتنان ، وزهوا ، وكان هذا الديوان ، والآن ، لم نعد نملك الا أن نستثمر المناسبة .. مناسبة عطيتها الثمينة ، لكى نعبر لها ، باسم المثقفين المصريين جميعا ، عن بهجتنا الصادقة بطيب اقامتها بيننا ، تلك الأقامة التى عطرت أرض الكنانة ، وزادتها تألقا ، ودفئا. " يغير ألوانه البحر" ويظل لاسم "نازك الملائكة " ، الغالى ، مكانته الباقية ، فى قلوبنا جميعا

إبراهيم أصلان

آفاق الكتابة

شركة الأمل للطباعة و النشر